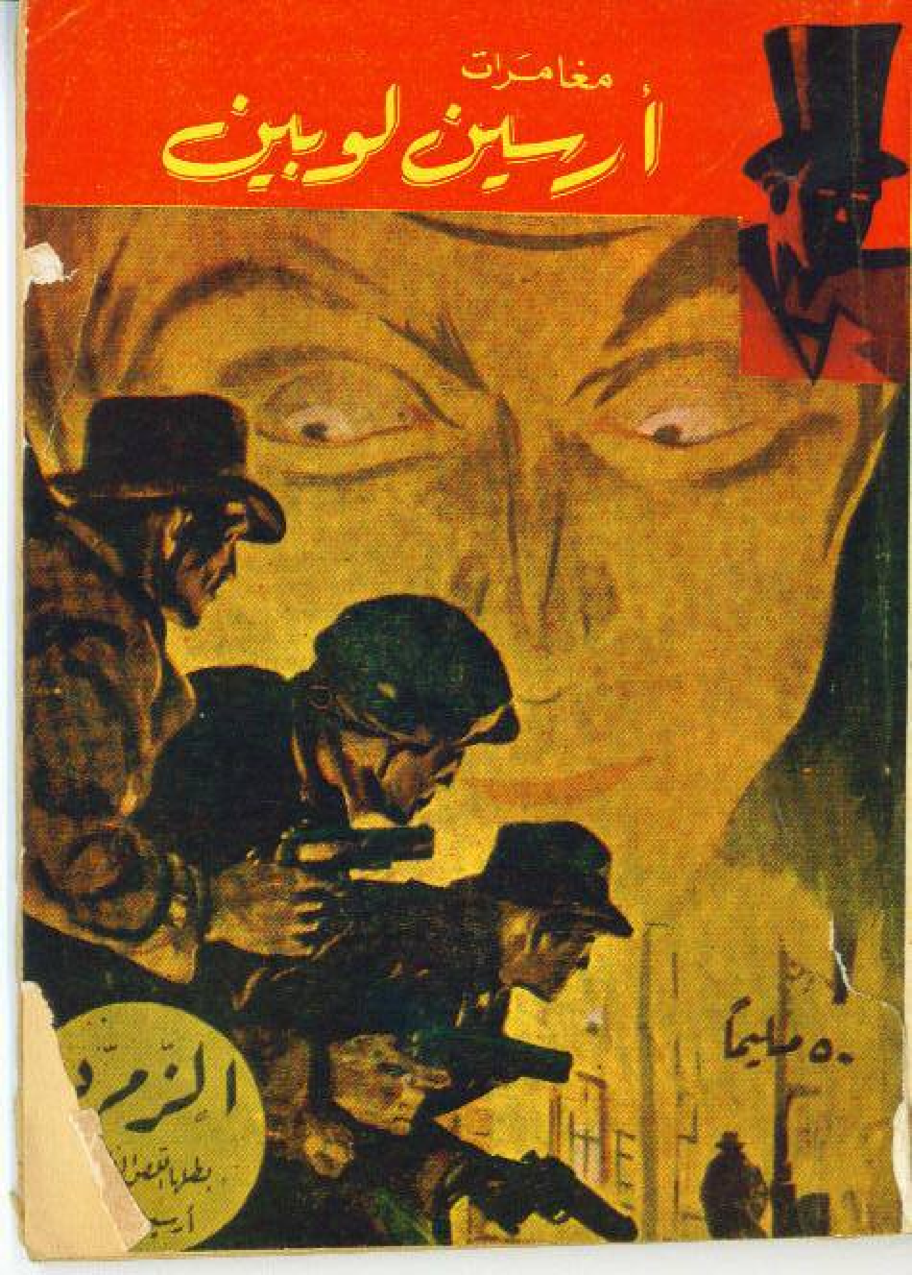

مغامرات
أرسين لوبين
الزمرد
٥٠ مليما

القسم الأول
صانع المعجزات
- ١ -

كان مارتن ديل منصرفا بكل اهتمامه الى تامل عقد اللؤلؤ النادر الذى تحلى به مسز ترافنر جيدها ، غير منتبه الى الفتاة التى ظلت تراقبه باهتمام لعدة دقائق . ثم ما لبثت ان اقتربت منه وهمست : بديع !! اليس كذلك

فحول ديل نظرة الاعجاب التى كان يرمق بها عقد مسز ترافيز الى الفتاة الرائعة الجمال التى أقبلت تحدثه فى بساطة الأطفال وبراءتهم ... وتفصح عيناها الزرقاوان عن الفتنة وخفة الروح .

وظل يتأمل جيدها ومنكبيها البديعى التكوين برهة ثم اجاب : نعم .. بديع فى الواقع .. ولكن نظرتك تختلف عن نظرتى تمام الاختلاف .. فقد كنت افكر فيما لو كان هذا العقد يزين جيدك يا آنسة آرليس ..

فقاطعته الفتاة ضاحكة : بل انك لم تكن تفكر فى شيء من ذلك يا مستر ديل ، اذ كنت اراقبك عن كثب .. ويقول ابى اننى استطيع قراءة الوجوه كما اقرا كتابا مفتوحا .. فاذا كان هذا القول صحيحا ، فاكبر ظنى انك كنت تنظر الى العقد نظرة ..

فقال ديل باسما : لعلها نظرة التهكم ؟ !

— اوه ! كلا .. بل نظرة الشخص الذى يشتهى مال جاره .

فوجم مارتن ديل هنيهة .. ثم حول عينيه صوب مسز ترافيز فرآها تراقص رجلا ضئيل الجسم شديد النحافة وقد بدت على وجه المرأة دلائل السعادة والزهو .

وضحك مارتن ديل ضحكة رقيقة ثم قال : ان اشتهاء مال الغير غريزة اولية فى الانسان على ما اعتقد .. فلو قنع كل امرىء بما لديه لنضب معين لذة الحياة ، ولتجردت من تلك المغريات التى تحبب الناس فى البقاء .. فالطمع هو المحرك الأول على العمل .. فالنشال ومدير المصرف يعملان تحت تأثير دافع واحد وهو الحصول على المال برغم تباين السبل التى يسلكانها .

فضحكت الفتاة بدورها وهتفت : دعك من الخطابة والشقشقة ، فما كنا معنيين بالفلسفة والأخلاق . وعقد مسز دافيز هو مدار حديثنا أو قطب الرحى كما يقولون .

فقال ديل مجفلا : احقا .. هل لك فى ان تمنحينى الرقصة المقبلة يا آنسة آرليس ؟

— لا أظن يا عزيزى فان حديثك يروقنى اكثر من رقصك .. اعنى حديثك فى الناحية التى طرقناها .. أتدرى ما الذى ذهب اليه ظنى عندما تبينت النظرة التى كنت ترمق بها عقد مضيفتنا ؟ خيل الى انك تتمنى الحصول عليه ..

— احقا ؟ !

— خطر لى ان مثل هذا العقد الثمين قد ينتزع اهتمام شخص اصاب شهرة واسعة فى السنوات الأخيرة .. واسهبت الصحف فى وصف مغامراته ومداعباته .. اعنى ارسين لوبين

فاجفل ديل قليلا .. وحدق فى عينى الفتاة . ولكنه لم يستطع ان يستشف من نظرتها معنى معينا

واخيرا غمغم : مما يؤسف له ان ارسين لوبين ليس بين المدعوين الليلة .. ان الحفلة مقبضة ، ولا شك ان وجود ارسين لوبين كان يكسبها شيئا من الحركة .. والانتعاش .

فارتعشت شفتا الفتاة ، وجالت ببصرها فى ردهة المرقص . ثم قالت :

ـ هون عليك يا مستر ديل .. قد يكون لوبين بيننا فى هذه اللحظة مجرد هذا الخيال يبعث فى نفسك الحماس والانتعاش !! الم يبلغك انه يمثل شخصيتين مختلفتين مثل لدكتور جيكل ومستر هايد ؟ انه لمما يرسل الفزع فى نفسى ان واحدا من الشباب الممتلئين حيوية ونشاطا الذين تراهم حولك الليلة قد يكون هو نفسه ارسين لوبين .. الا تعلم يا مستر ديل ان صورة هذا اللص الخطير ماثلة امام عينى حتى انى لا استطيع ان اصفه لك بدقة ؟

فاضطرب ديل قليلا ، ولكنه بقى على هدوئه .

وقال بصوت متزن : احقا ؟ ! ترى ما هيئته ؟

فقالت الفتاة ، وهى تنظر اليه بحدة من بين جفونها نصف المطبقة :

انه قبل كل شيء شاب مغرور ، يزهو بمغامراته غير المشروعة .. ولو انى اعتقد انه لم يخرج عن طبيعة اللصوص فى خيلائهم واعتدادهم .. ثم انه محب للجمعيات الخيرية

ـ هذا امر معروف للجميع .. فقد جرت عادته ان يترك خلفه بطاقة يقرر فيها لضحيته انه سيعيد اليه المسروقات اذا دفع عشرة فى المائة من ثمنها الى احدى الجمعيات الخيرية .. لكن حدثينى بأخلاق هذا اللص الجرىء ! !

فابتسمت الفتاة ابتسامة خفيفة ، واردفت وهى تطيل النظر الي وجهه :

ـ سأصفه اولا .. انه شاب طويل القامة ممتلىء الجسم : قوى العضلات ، ولو انه ليس من أبطال الرياضة .. وما اشك فى انه كان يلاقى نجاحا كبيرا لو انه سلك سبيل الشرف والاستقامة . ولكنه آثر سلوك طريق شائكة ..

ولا اكتمك انه ينتزع اعجاب الجماهير ، ولكنه اعجاب مشوب بالخوف والازدراء .. وكثيرا ما وقعن فرائس سهلة بين براثنه هل تود ان أستمر يا مستر ديل ؟

فقال ديل بصوت خافت يشف عن القلق : حقا ، لقد اثرت اهتمامى

فعادت الانسة آرليس تقول : واعتقد انه اسمر البشرة قليلا .. نفاذ النظرات .. واذا ابتسم ، كان جذابا قوى التأثير ، اما انفه فبارزة قليلا ، دقيق الفم ، مستدير الذقن

فضحك ديل ، وصاح : ان لك خيالا رائعا يا آنسة ، ومع ذلك فأنا ارى انك تظلمين ارسين لوبين حين تقولين انه شخص مستهتر .. افلا تعتقدين ان السرقة عمل اشق من كافة الاعمال ؟

ـ ان سرقة اموال الغير وجواهرهم ، والسطو على منازلهم لا تعتبر عملا يا عزيزى !

ـ ولكن السرقة عمل محفوف بأشد المخاطر يا عزيزتى، ثم ان ارسين لوبين لا يستأثر بشيء لنفسه . فهو يعيد المسروقات الى اصحابها بعد ان تبرعوا بعشر قيمتها لاحدى الجمعيات الخيرية . وحديثك هذا يذكرنى باشاعة استفاضت عنه مؤداها ان هذا التعس زج فى السجن منذ اعوام طويلة بتهمة هو منها برىء . فأوغر ذلك صدره على البوليس .. وحفزه على مخالفة القانون ليجعل من رجاله اضحوكة فى أعين الشعب

فحدقت الفتاة فى وجهه . وغمغمت بعد قليل :

ـ هذا امر يدعو الى الاهتمام ، ولكنها مجرد اشاعة على كل حال .. مهما يكن من شيء ، فانه يبدو ان من الطبيعى ان توليه كل هذه العواطف الجياشة

فسأل ديل بلهفة : ولمــاذا ؟ ..
فقلبت الفتاة شفتيها . واجابت : لقــد هاجم ارسـين لوبين كل افراد مجتمعنا ما عداك . فلا عجب اذن ان تدافع عنـــه .

فعض ديل على شفتيـــه .. واستولى عليه القلق . وعندئذ صاحت به الفتاة : هلم الان الى الرقص يا مستر ديل . اكبر ظني ان ارسين لوبين لن يزعج مضيفتنا الليلة ..

- ٢ -

القى مارتن ديل بنفسه متهالكا فوق مقعد وثير . ونظر الى الساعة الموضوعة فوق المكتب فاذا هي قد قاربت الثالثـة صباحا .

كان قد عاد الى منزله في التو بعد ان انتهت حفلة الرقص في منزل آل توافيز . ولكنه لم يكن مرحـا كعـادته . فان ارتياب الانسة آرلين فيه اثار قلقه ، وهو ارتياب تبينـــه قطعا حين ذكرت له اوصاف ارسين لوبين بمـا يطابق اوصافه هو كل المطابقـة ..

غمغم موجها الحديث الى صورة جميلة لفينوس موضوعة في اطار من الذهب الخالص فوق مكتبه : ترى ماذا كانت تعني ؟ هل كانت ترمي الى تأنيبي ؟ ام انهــا كانت مدفوعة الى هذا التصريح بشك يساورها في امري ؟ ام لعلهـا كانت ترمي الى افزاعي ، فافضح نفسي ؟ من المستحيل ان تكون لديهـا ادلة مباشرة على انني ارسين لوبين . فربما كان مصدر ريبتهـا انني واحد من قلائل ممن لم يقتحم ارسين لوبين دورهم . بيد ان هذه الغلطة يمكن اصلاحها .

ففي ليلة من تلك الليالي المعتمــة ساقتحم منزلي واسرق بعض تحفي فيعلم الجميع انني لم اسلم من اعتـــداء ارسين

لوبين . وبذلك يطمئنون وتذهب شكوكهم بددا ، وحصوصا فيرا آرليس .

ابتهج مارتن ديل بالفكرة ، فقد كانت جديدة طريفة .. فضلا عن انها ذات اثر بعيد من الناحيــة العمليــة . لكن سرعان ما اجهم وجهه . ذلك انه لم يستطع ان يتخلص من ذلك الاحساس الغامض الذي كان يقلقه ، والذي كان مبعثه ان ملاحظات فيرا آليس لم تكن عفو الساعة ، او مجرد تكهنات وانما ترتكز على اسباب ودوافع قوية تبلغ حد اليقين .

كان ارسين لوبين قد سطا على منزل آل آرليس منــذ عدة ايام ، وسرق مجموعة ممتازة من انفس الجواهر واثمنها ، وتولى البوليس كالعادة تحقيق الحادث ، ولم يســتطع ان يصل الى نتيجة مجدية كشـأنه ابدا .. واضطر السير مالكولم آرليس ان يتبرع بعشرة في المـــائة من قيمة المسروقات الى احدى الجمعيات ، وفي اليــوم التالي تلقى طردا به الجواهر المسروقة ، وبذلك انتهى الحـادث في اعتقـــاد ارسين لوبين .

واما الليلة ، فقــد تغير رأيه ، اذ اثار حديث فيرا آرليس في نفســه القلق والحيــرة

وراح يتسائل : هل من الممكن ان يكون قد ارتكب هفوة فضحت امره ، وارشدت الفتاة الى شخصيته ؟

كان واثقا انه لم يفعل شيئا من هــذا .. فهــو دائم الحرص على الا يترك خلفه ما ينم عن شخصيته الحقيقية .. ومع ذلك فقد خيل اليه ان فيرا كانت تتحـدث اليه بلهجة الواثق مما يقــول .. فلعلها اذن استطاعت ان تظفر بدليـل غاب عنه التحرز منه

وثم امر آخر كان يشغل باله .. ذلك انه احتفظ لنفسه بدبوس اعجبه منظره لا لأنه ثمين .. ولكن لأنه تحفة فنية

قيمة .. ثم لأنه كان يعلم ان السير مالكولم لن يأبه لضياع هذا الدبوس العادى ما دام قد استعاد مجموعة جواهره النفيسة .. بيد أن حديث فيرا آرليس والوخز الذى تخلله جعله يتمنى من كل قلبه لو اعاد هذا الدبوس لئلا يكون هو الحلقة المفقودة بين ارسين لوبين ومارتن ديل ..

وكأنما امضه التفكير فى هذه الناحية ، فأشعل لفافة تبغ .. وراح يحدق فى فضاء الغرفة . وفجاة .. تناهى الى سمعه الحاد اصوات خافتة صادر من ناحية باب المنزل العام .. فنظر الى الساعة الموضوعة فوق المكتب ، فاذا بها قد جاوزت النصف بعد الثالثة فعجب لزائر يأتى فى مثل هذه الساعة المتأخرة من الليل

ومضت عدة دقائق ، وهو يصيخ السمع .. وما لبث ان سمع طرقا على باب غرفة المكتب .. ثم دخل خادمه الامين باكنز مقطب الجبين وقال :

ـ لقد جاءت سيدة لمقابلتك يا سيدى .. اردت ان اعرف اسمها فرفضت .. وحاولت ان اصرفها فأبت حتى تراك .. انها تصر على ذلك يا سيدى ، فماذا افعل ؟

فهز ديل كتفيه استخفافا .. وقال :

ـ قل لها ان تذهب الى جهنم

ـ لقد قلت ، ولكن فى عبارة مؤدبة

ـ اذن قل لها اننى لم اعد الى المنزل بعد

ـ قلت هذا ايضا يا سيدى .. ولكنها قالت انها كانت معك منذ اقل من ساعة .. وافترقتما عند باب آل ترافيز ..

فالقى ديل بلفافة التبغ فجأة فى المدفأة ... وصاح :

ـ آه !! ان اذهب بها الى غرفة الجلوس وسآتى على اثرك

فعجب الخادم للنشاط الذى بدا فجأة على سيده .. ولكن لم يسعه غير الاذعان على كره منه

وما كاد يخرج حتى قال لوبين لنفسه :

ـ يخيل الى أن فيرا الجميلة تتعجل الحوادث ..

وما كاد يدخل غرفة الجلوس وينحنى امام الفتاة حتى تلاشت عن وجهه دلائل القلق والحيرة التى اثقلته طويلا .. وبدا هادئا كل الهدوء ..

وكانت الفتاة ترتدى معطفا من الصوف الازرق .. ورمقته بنظرة فاحصة .. وقالت باسمة : هل ادهشتك رؤيتى يا مستر ديل ؟ الحق انى آثرت الا احدث شغبا ابان حفلة مسز ترافيز

فرفع ديل حاجبيه دهشا .. وقال متسائلا : شغب ؟

فأومأت برأسها ، وأجابت : نعم .. ومن ثم قررت ان استأنف الحديث بعد الحفلة .. وعدت الى المنزل مع أبى واخى .. ولما تحققت من ان جميع من فى الدار قد آووا الى مضاجعهم ، اتصلت بجراج قريب ، واستدعيت سيارة تاكسي ، وجئت لمقابلتك .. ولو علمت امى بهذه الزيارة المتأخرة لثارت ثائرتها

فالتزم ديل الصمت .. واستطردت فيرا :

ـ ان الوقت غير لائق للزيارة ، ولكننى لم استطع الانتظار .. فقد كان حديثنا شائقا جدا الى درجة انى كنت احترق لهفة لانهائه .. والآن لنستأنفه من حيث انقطع .. آه !! كنا نتحدث عن ارسين لوبين !!

وحدجت البصر الى وجهه .. ومع ان الهدوء ورباطة الجاش كانا باديين عليها .. غير ان حركات قدميها كانت تنم عن الانفعال والقلق الشديد ..

وقال ديل باسما : لقد رسمت للوبين صورة واضحة حتى لقد استطعت أن اتخيله وكأنه واقف امامى

ـ لا عجب فى ذلك .. وقد كنا وجها لوجه ورحت اصفه وانا اتحدث اليه .. الا ترى انه من الخير أن نرفع القناع الان يا مستر ديل ونتحدث بصراحة ؟ ! لقد علمت الليلة انك ارسين لوبين

فتظاهر ديل بالابتهاج ، وضحك .. وقال : لا شك انك تهزلين ! هل تلهمك ساعات المساء المتأخرة بمثل هذه الملح الشاذة يا آنسة ؟ !

فبدت سمات الرزانة على وجه الفتاة .. وقالت :

ـ لست اهزل يا مستر ديل .. انني أعلم انك ارسين لوبين .. قل انها بصيرة المرأة .. او ما شئت .. ولكني اعرف ان هذه هي الحقيقة التي لا ريب فيها .. لقد وقعت على هذا الاكتشاف مصادفة عندما كنت تطيل النظر الى عقد مسز ترافيز . وتذكرت انك احد الاشخاص القلائل الذين نجوا من مضايقات ارسين لوبين . بالطبع لم يكن هذا الخاطر هاما فى حد ذاته .. ولكني عزمت على ان اضع ريبتي موضع التجربة ، واخذتك على حين غرة عندما القيت اليك بملاحظتي الاولى .. ووجدت فى اضطرابك الخفيف الدليل الذى كنت انشده يا مستر ديل .

فضحك ديل مرة اخرى . وقال : شد ما يفزعني ان تكوني بين المحلفين حين محاكمتي يا آنسة . ليخيل الى انك لا تحجمين عن ارسال الانسان الى المشنقة لأنه اطال النظر الى عقد ثمين ، ولأنه انتفض حين اتهم بانه يحيا حياة مزدوجة . هل انت جادة فى قولك يا آنسة آرليس ؟

ـ نعم .. انني اعني كل كلمة انطق بها .

فتقلصت شفتا ديل . ولكنه شعر بنوع من الارتياح .

ذلك لأنه ايقن ان الفتاة لا تملك دليلا واحدا على اتهامه ، وانما بنته على الحدس والريبة .

وقال باسما : لنفرض ، وذلك على سبيل التسلية فقط ، انني ارسين لوبين فماذا تعتزمين ان تفعلى ؟

ـ آه ! . فى هذه الحالة نستطيع ان نتفاهم يا مسيو ارسين لوبين . انت تعلم طبعا ان منزلنا اقتحم يوم الخميس الماضي ، وسرقت منه مجموعة جواهر ابى ..

ـ هذا ما قرات فى الصحف .

ـ لقد اعدت الجواهر بعد سرقتها بيومين عندما اذعن ابى لمطالبك ، ولكنك احتفظت لنفسك بدبوس أثرى ، لا يقارن بالجواهر الاخرى التى سرقتها من الخزانة . اما لماذا لم تعده الى ابى فما لم استطع تعليله . اللهم الا ..

فحدق ديل فى وجهها باهتمام ، وسأل : اللهم الا ماذا ؟

فقالت وهى تنظر اليه بامعان : اللهم الا اذا كنت تعرف شيئا عن .. عن تاريخ الدبوس . وانا لا افهم كيف استطعت ان تلم بقصته ، ومع ذلك فليس هناك من سبب وجيه يحملك على الاحتفاظ به

فغمغم ديل ماخوذا : يا له من لغز معقد ! . لكن لا تنسى يا عزيزتى انني لم اعترف بعد باننى ارسين لوبين . انما نتحدث عن افتراض فحسب . فماذا بشأن الدبوس ؟

فتلاشت الابتسامة عن شفتى الفتاة .. وقالت بلهجة صارمة : يجب أن تعيد الى الدبوس فى التو واللحظة يا مستر ديل

واذا قلت لك انه ليس فى حوزتى ؟ .

فتطلعت الى ساعتها اليدوية . وقالت بصوت رصين :

ـ اذا لم تعد الى الدبوس فى غضون ثلاث دقائق فسأستدعى البوليس ليجرى تفتيش المنزل .. فتذكر

انه اذا عثر البوليس على الدبوس هنا ، فسيكون فى هذا ،
الدليل القاطع على انك ارسين لوبين .

لا ريب ان الفتاة كانت تتوقع ان يتأثر ديل من هذا
التهديد ، ولكنها ما لبثت ان ادركت انها اخطأت الظن ،
ذلك ان مارتن ديل ظل على هدوئه وجموده .. وقال ببرود :
فى استطاعتك ان تجربى هذه العملية يا عزيزتى .. ولكن
من المرجح ان يقدم البوليس على تفتيش مسكنى قبل
ان يحصل على التصريح الذى يخوله هذا العمل .. وحتى
لو استطاع فانه لن يجد الدبوس الذى تتحدثين عنه هنا .

فلزمت الفتاة الصمت ، وهى لا تكف عن التحديق فى
وجهه .. وما لبثت ان قالت : لعلك تعتقد اننى اسعى
الى (بلفك) ؟

فهز كتفيه بغير اكتراث . ثم اشار الى باب الغرفة
المفتوح .. وقال : ان التليفون موضوع على منضدة
صغيرة على يمين هذا الباب يا آنسة .. ولن يكلفك الاتصال
باسكتلانديارد اكثر من ان تنطقى الى عاملة التليفون بكلمة
« بوليس »

ــ اذن فلا اعتراض لديك على تفتيش منزلك ؟

ــ كلا مطلقا .. بل اننى على استعداد لأن اسمح للبوليس
بتفتيش منزلى قبل الحصول على التصريح الذى يخوله هذا
الحق .

فعضت الفتاة على شفتيها .. وادرك ديل انه ربح الجولة
الاولى فى معركة الذكاء .. وسعة الحيلة ، ولكنه راى فى
عينيها بريقا قرأ فيه اعتزامها تغيير خطة الهجوم التى
اتبعتها .

قالت بانفعال : اكبر ظنى انك احتفظت به فى مكان لا
يصل اليه رجال البوليس .. اصغ الى يا مستر ديل ، ان

للدبوس اهمية عظمى ـ انها مسألة حياة او موت ..
وقد قررت الا اغادر هذا المنزل بدونه .

وفجأة .. وقبل لان يتمكن ديل من الرد عليها ، فتحت
حقيبتها اليدوية ، وتناولت منها مسدسا اوتوماتيكيا
صوبته الى صدره .. فغمغم مشدوها : هل الامر خطير الى
هذا الحد ؟

وعقد ساعديه فوق صدره .. وراح ينظر الى فوهة
المسدس فى هدوء ورزانة .

اجابت الفتاة : بل من الخطورة بحيث اننى لن اتردد فى
اطلاق النار عليك ان لم تسلمنى الدبوس ..

نطقت الفتاة بهذه العبارة بصوت متهدج قليلا .. ولكنها
كانت تقبض على المسدس بيد ثابتة .. ثم استطرت
الدبوس يا مستر ديل والا ..

فقال ديل مأخوذا . الحق انى لا افهمك يا آنسة .. هل
تهددينني بالموت من اجل دبوس عادى ؟

فأجابت بلهجة رنانة تنم عن انفعالها ولهفتها : قلت لك
انها مسألة حياة او موت

ثم نظرت الى ساعتها اليدوية ، واستطردت : ان الساعة
الآن الرابعة الا خمس دقائق .. فاذا دقت الساعة الرابعة
ولم تعد الى الدبوس ، فسأطلق النار عليك .

ولم يخف على ديل من لهجة الفتاة ، وبريق العزم
المنبعث من عينيها انها تعنى كل كلمة تنطق بها .. ولكنه
لم يرتعد او يجفل .. وفقط راح يتساءل فيم كل هذا
التهديد والوعيد والدبوس لا يساوى اكثر من بضعة
شلنات .

هتفت الفتاة بعد قليل : علام عولت ؟

ــ انك ممثلة بارعة يا آنسة آرليس .. ثم ان الانفعال

يكسبك جمالاً وفتنة .. اكبر ظنى انه غير خاف عليك ان المسدس قد ينطلق صدفة فى اية لحظة !

فتطلعت الفتاة الى ساعتها .. ثم اجابت :

– سينطلق بعد ثلاث دقائق ونصف بالضبط

فقال ديل وهو يخرج علبة لفافته من جيبه : هل تسمحين لى بالتدخين ؟

فقالت الفتاة بلهجة هى مزيج من الحيرة والاعجاب : الست خائفا ؟

فعبس واجاب : بل جد خائف ، وهذا ما يحملنى على التدخين لعلى استعيد هدوئى

فارتعشت شفتاها .. ولوحت بالمسدس فى حركة تهديدية ، ثم نظرت الى ساعتها مرة ثالثة

وقالت : بقى على المهلة دقيقتان !

فتثاءب ديل .. والتقت أعينهما واستطاع ان يميز فى عينيها نظرة تصميم يخالطها قنوط ، وغضب جائح

ومرت دقيقة ، ثم اخرى ، وعندئذ دقت ساعة الردهة الرابعة .. وفى هذه اللحظة قذف ديل ببقية لفافة التبغ فى المدفأة ، وتقدم من الفتاة ... وانتزع المسدس من يدها برفق ، ثم وضعه فى جيبه وقال :

– هذه لعبة خطرة قد تسبب لك متاعب جمة .. نستطيع الان ان نستأنف حديثنا بهدوء واطمئنان ؛ فقد لا يتعذر علينا الوصول الى اتفاق سلمى ..

ثم جذب مقعدا وجلس .. وكانت الفتاة تتنفس بصوت مسموع ، وتلقى عليه نظرات يتطاير منها شرر الغضب

قال ديل : كان من الحماقة ان تهدديني بالمسدس يا آنسة آرليس ، وانا واثق انك ما فعلت هذا الا تحت تأثير عاطفة وقتية ، ولو كان الحافز عليه عن تفكر وتدبر

لما لجأت اليه .. فحتى لو كنت انا ارسين لوبين والدبوس فى حوزتى لما اعطيته لك لأن معنى هذا ان افضح نفسي .. وما دامت نتيجه الموت بمسدسك توافى النتيجة المحتملة الوقوع اذا ما فضحت شخصيتى الحقيقية فانه لأهون ان اموت بطلق من مسدسك

فبدأ الغضب ينفثىء عن الفتاة تدريجيا .. وغاض الدم من وجنتيها ، وبدت كطير بلله القطر ..

ثم غمغمت وهى تطيل النظر الى وجهه : اننى اتساءل وكلى عجب اذا كنت قد اخطأت التقدير .. انما خيل الى انك ارسين لوبين .

فقال بصوت رصين : كثيرا ما تكون الظواهر خداعة .. وليس من الحكمة فى شيء ان يسبق المرء الحوادث أو يثب الى النتائج .. وعلى فكرة ، هل يبذل ابوك اى مجهود لاستعادة الدبوس ؟

– انه يقلب الارض والسماء ، ولكنه يفعل ذلك بهدوء لاسباب خاصة

فتأمل وجه محدثته ، وخيل اليه انه استشف نغمة الخوف فى صوتها . فقال : سمعتك تقولين ان للدبوس قيمة عظمى فى مسألة حياة او موت .. فهل هو دبوسك ؟

فاجابت من بين اسنانها بصوت لا يكاد يسمع : كلا .

وانتفضت ثم قبضت راحتها فى عنف وعادت فبسطتهما .. وانبعثت واقفة على قدميها وقالت : يجب ان انصرف الان .. يؤسفنى ان ازعجتك يا مستر ديل .. هل تعدنى الا تذكر امر هذه .. الزيارة لأحد ؟

بكل سرور يا آنسة .. واما عن الدبوس فلا تجزعى من ناحيته .. فمن المحتمل ان يعدل ارسين لوبين عن رأيه

يكسبك جمالا وفتنة .. اكبر ظني انه غير خاف عليك ان المسدس قد ينطلق صدفة في اية لحظة !

فتطلعت الفتاة الى ساعتها .. ثم اجابت :

— سينطلق بعد ثلاث دقائق ونصف بالضبط

فقال ديل وهو يخرج علبة لفافته من جيبه : هل تسمحين لي بالتدخين ؟

فقالت الفتاة بلهجة هي مزيج من الحيرة والاعجاب : الست خائفا ؟

فعبس واجاب : بل جد خائف ، وهذا ما يحملني على التدخين لعلي استعيد هدوئي

فارتعشت شفتاها .. ولوحت بالمسدس في حركة تهديدية ، ثم نظرت الى ساعتها مرة ثالثة

وقالت : بقي على المهلة دقيقتان !

فتثاءب ديل .. والتقت أعينهما واستطاع ان يميز في عينيها نظرة تصميم يخالطها قنوط ، وغضب جائح

ومرت دقيقة ، ثم اخرى ، وعندئذ دقت ساعة الردهة الرابعة .. وفي هذه اللحظة قذف ديل ببقية لفافة التبغ في المدفأة ، وتقدم من الفتاة .. وانتزع المسدس من يدها برفق ، ثم وضعه في جيبه وقال :

— هذه لعبة خطرة قد تسبب لك متاعب جمة .. نستطيع الان ان نستأنف حديثنا بهدوء واطمئنان ، فقد لا يتعذر علينا الوصول الى اتفاق سلمي ..

ثم جذب مقعدا وجلس .. وكانت الفتاة تتنفس بصوت مسموع ، وتلقي عليه نظرات يتطاير منها شرر الغضب

قال ديل : كان من الحماقة ان تهدديني بالمسدس يا آنسة آرليس ، وانا واثق انك ما فعلت هذا الا تحت تأثير عاطفة وقتية ، ولو كان الحافز عليه عن تفكر وتدبر

لما لجأت اليه .. فحتى لو كنت انا ارسين لوبين والدبوس في حوزتي لما اعطيته لك لأن معنى هذا ان افضح نفسي .. وما دامت نتيجه الموت بمسدسك توافي النتيجة المحتملة الوقوع اذا ما فضحت شخصيتي الحقيقية فانه لأهون ان اموت بطلق من مسدسك

فبدأ الغضب ينطفىء عن الفتاة تدريجيا .. وغاض الدم من وجنتيها ، وبدت كطير بلله القطر ..

ثم غمغمت وهي تطيل النظر الى وجهه : انني اتساءل وكلي عجب اذا كنت قد اخطأت التقدير .. لقد خيل الي انك ارسين لوبين .

فقال بصوت رصين : كثيرا ما تكون الظواهر خداعة .. وليس من الحكمة في شيء ان يسبق المرء الحوادث أو يثب الى النتائج .. وعلى فكرة ، هل يبذل ابوك اى مجهود لاستعادة الدبوس ؟

— انه يقلب الارض والسماء ، ولكنه يفعل ذلك بهدوء لأسباب خاصة

فتأمل وجه محدثته ، وخيل اليه انه استشف نغمة الخوف في صوتها . فقال : سمعتك تقولين ان للدبوس قيمة عظمى في مسألة حياة او موت .. فهل هو دبوسك ؟

فأجابت من بين اسنانها بصوت لا يكاد يسمع : كلا .

وانتفضت ثم قبضت راحتها في عنف وعادت فبسطتهما .. وانبعثت واقفة على قدميها وقالت : يجب ان انصرف الان .. يؤسفني ان ازعجتك يا مستر ديل .. هل تعدني الا تذكر امر هذه .. الزيارة لأحد ؟

بكل سرور يا آنسة .. واما عن الدبوس فلا تجزعي من ناحيته .. فمن المحتمل ان يعدل ارسين لوبين عن رأيه

وبعيده اليك .. من يدرى . ؟ لعلك تسلمينه فى بريد الغد !

– قد تفلت الفرصة غدا ... او قد يقع الدبوس فى ايدى قوم ..

وامسكت فجاة .. وعضت على شفتها ، كانما اسفت لما بدر منها .. ثم استطردت بعد هنيهة : هل تسمح باستدعاء خادمك ، وترساله فى طلب سيارة تاكسي ؟

فاجاب ديل فى ادب : بكل سرور

وبعد عدة دقائق ، كان ديل واقفا امام النافذة ، يراقب سيارة التاكسي وهى تبتعد عن منزله .. ولكنه ما لبث ان صفر دلالة على الدهشة والاستغراب .. ذلك انه راى رجلا يبرز فجأة من باب احد المنازل المواجهة وتلفت فى اتجاه السيارة التى استقلتها الفتاة ، ثم رفع اصابعه الى فمه ، وصفر صفيرا مستطيلا ، وعلى الاثر اقبلت سيارة مغلقة من الاتجاه المضاد فاستقلها الرجل على عجل ، وانطلقت به فى اثر سيارة التاكسي

وهز ديل راسه وهو فى اشد الحيرة .. وارتد عن النافذة، وقد تمثلت امام ناظريه صورتان احداهما صورة فيرا آرليس، والاخرى لدبوس تافه القيمة محفوف بالاسرار والاحاجى

– ٣ –

قضى السير مالكولم آرليس صاحب ومدير شركة آرليس للسيارات طيلة حياته العملية وهو يعمل على هدى قاعدة واحدة . هى أن الغاية تبرر الواسطة . وانه طالما استطاع المرء ان يميز طريق النجاح فلا لوم عليه ولا حرج ان هو استعان بارذل الوسائل لبلوغه .

ففى صباح اليوم التالى لحفلة آل ترافيز جلس السير

آرليس الى مكتبه ، وكان رجلا بدينا ، عريض المنكبين ، محتقن الوجه هزيله برغم قوته الهرقلية ، وراح يدخن سيجارا غليظا .. وراح يملى على سكرتيرته الخاصة احدى الرسائل .. فى عبارات متقطعة ليست متناسقة تماما .

وسرعان مايسرى قلقه وعدم استقراره الى سكرتيرته التى لاحظت عليه تغييرا محسوسا خلال الايام القلائل الماضية . فكثيرا ما كان يشتط فى حديثه ، او ينتابه الوجوم وتشرد افكاره . وفى بعض الاحيان كان ينفجر صاخبا ، غاضبا .

وكان التغيير محسوسا فى ذلك الصباح بالذات .. فبدا ينتابها شعور قوى بان مخدومها يعانى قلقا خفيا لا يمت الى العمل بسبب .

واقبل احد الخدم فى تلك اللحظة ، واعلن قدوم زائر . فاشار السير آرليس بيده الى سكرتيرته لتغادر الغرفة .. وفى اللحظة التالية دخل رجل ذو شارب اصفر منقلب السحنة بادى الصرامة والغلظة .

واغلق آرليس الباب بالمفتاح .. وقدم لضيفه سيجارا ثم ساله : هل من انباء يادريتون ؟

فاشعل دريتون السيجار ، وجذب منه عدة انفاس .. ثم اجاب : اصغ الى يا سير مالكولم .. فى استطاعتى ان اصل الى نتيجة مرضية لو انى عرفت ظروف الحادث بملابساته .. فشدما يغل يدى ان اعمل فى الظلام .

فعبس السير آرليس .. وصاح : انها مسالة خاصة كما قلت لك منذ البداية .. وهذا سبب استخدامى اياك بدلا من ان اعهد بالقضية الى اشخاص يضطلعون بامثالها فى الظروف العادية .. واظن اننى قلت لك انه من العبث ان تحاول معرفة جوهر القضية ، ومع ذلك فقد زودتك بكل

المعلومات الضرورية .. وعرضت عليك اجرا مضاعفا ، وهبة مالية كبيرة فيما لو استطعت ان تعيد الى الدبوس المفقود فلم تتقدم ؟ .

ـ انني لا احب ان اتحسس طريقي في الظلام . صحيح انك صاحب الشأن ، وما تقوله نافذ ـ لكن ما حيلتي ؟ ! وبهذه المناسبة .. الم يتصل بك ارسين لوبين بعد ؟

فهز آرليس رأسه .. وقال : ولم يتصل بي ؟

ـ خطر لي انه عرف بمدى لهفتك على استعادة الدبوس .. فعرض عليك التنازل عنه مقابل مبلغ ضخم من المال .. انه مجرد خاطر جال بمخيلتي منذ علمت انه لم يعد اليك الدبوس مع مجموعة الجواهر .. كم عـــدد الاشخاص الذين يعرفون السر ؟ ..

ـ سر ؟ ! اي سر تعني ؟

فاطال درينون النظر الى وجه المليونير بخبث .. وقال :

ـ لقد آثرت ان تلزم السرية فيما يتعلق بهذا الحــادث . فمثلا ، لم يأت ذكر الدبوس في قائمــة المسروقات التي قدمتها للبوليس . ومن ثم لم تشر اليه الصحف بكلمــة . ولمــا كان هذا الدبوس مكتنفا بالغموض فانــه لممــا يساعدني كثيرا في عملي ان اعرف الاشخاص الذين يلمون بسره ..

فكر آرليس هنيهة .. واخذ يحدق البصر الى وجــه رجل البوليس واخيرا قال : انهم اربعة فقط . فيما اعتقد وهؤلاء هم انا ، وارسين لوبين ، وابنتي ، وشخص آخــر لا استطيع ان اذكر اسمه .

ـ وماذا بشأن زوجتك ؟

فتلاعبت على شفتي السير آرليس ابتســامة ساخرة . وهتف : ان زوجتي لا تعرف شيئا .

فسجل درينون بعض الملاحظات في مفكرته .. ثم نظر الى وجه السير آرليس طويلا كأنمـــا اراد ان يقرأ ما يتكتمه عنه . وقال : ثم سؤال آخر يا سير ماكولم .. لكن ارجو الا تغضب من القائه . هل لديك من البواعث ما يحملك على الظن بأن الآنسة آرليس تعمل ضدك في هذه القضية .

فرماه المليونير بنظرة نفاذة ، وقال وهـــو يزن الكلام قبل النطق به :

ـ ربما .. ولكنها فيما أعلم لم تتخـــذ اية اجراءات في هذا السبيل بعد .. لم هذا السؤال ؟

فقال درينون : ساحدثك بما قد يكون مفاجأة لك يا سير آرليس . لقد لاحظت ان ابنتك كانت تتحدث الى مستر مارتن ديل اثناء حفلة آل ترالير ليلة امس .

ـ وماذا في ذلك ؟ اني اعرف مستر ديل معرفة سطحية . ولست ارى حائلا ما في ان تتحدث ابنتي اليه ..

ـ ليس هذا كل شيء يا سيدي .. حوالي الساعة الثالثة والربع من صباح اليوم ـ اعني بعد عودتكم الى منزلـــكم بنصف ساعة ، غادرت الآنسة آرليس المنزل ، واستقلت ســـيارة تاكسي وذهبت الى منزل مستر مارتن ديل في كنتجستون . فبقيت فيه الى حوالي الساعة الرابعـــــة والنصف .

فصاح المليونير وهو يميل الى الامام في مقعده : يا للشيطان ! ولكنه استطاع ان يتمالك هدوءه في لمح البصر .. وقال برزانة :

ـ ولكني لا ارى مايدعو للمؤاخذة في مثل هـــذه الزيارة سوى انها ذهبت لزيارته دون اذن او رفيق .. ساطالبهـــا بايضاح تصرفها هذا على كل حال ..

فصاح به دريتون مقاطعا : انك لن تفعل شيئا من هذا لان خوف الفضيحة هو آخر ما يعلق بالذهن فيما نحن بصدده .. ونصيحتي اليك ان تترك للآنسة ارليس الحبل الذى هي بحاجة اليه . فقد تستطيع أن تساعدنا في العثور على الدبوس المفقود ، ليس برضاها بالطبع ، ولكن عن طريق خطأ أو هفوة ، قد تزل اليها عفوا فترشدنا الى مكانه .

– هل تظن ان ابنتي تعرف شيئا ؟

– انني فقط استنتج . لقد قلت ان عند ابنتك من البواعث ما قد يحملها على العمل ضدك . ولما كان من غير المستساغ أو المألوف ان تذهب فتاة لزيارة شاب في الثالثة والنصف صباحا ، وليس ثم حافز قوى على هذه الزيارة ، فلا ريب اذن ان لها علاقة بالقضية التى عهدت الى بتحقيقها .

فأخذ السير آرليس ينفث الدخان من فمه في حركات عصبية ، وكان لا يفتأ ينظر الى دريتون خلسة ، واخيرا صاح :

– ولماذا لا تحدثني بالحقيقة سافرة عن كل غموض ؟

فقال دريتون برفق : انني فقط اتساءل لماذا تذهب ابنتك لزيارة مستر مارتن ديل بالذات في مثل هذا الوقت المتأخر من الليل ؟ يبدو ان للزيارة علاقة بالدبوس المفقود . فهى اما تعلم اين هو او انها تحاول معرفة مكانه . ولما كنا نعلم ان الدبوس لا يزال في حوزة ارسين لوبين ، افلا يبدو غريبا اذن ، ان تقودها محاولتها الى منزل مستر ديل في هذا الوقت المتأخر جدا من الليل ؟

فانتفض آرليس ، ثم جمد في مكانه بضع لحظات

واخيرا مال الى الامام في مقعده وحدق في وجه دريتون .. وهتف :

– لا أحسبك تريد أن تقول ان مستر مارتن ديل .. هو .. هو .

فضحك دريتون ضحكة هادئة . وقال :

– انى لست متأكدا من شيء حتى الآن يا سير آرليس . ولكن الزيارة في حد ذاتها ، اذا اقترنت بظروف الحادث تحمل الانسان على التفكير والتأمل العميق . اما وابنتك تقحم نفسها في القضية . فالى اى حد تسمح لي بالعمل ؟

فراح المليونير يدخن في صمت بضع دقائق كان خلالها يعصر ذهنه عصرا . واخيرا اجاب بلهجة تنشف عن العزم والتصميم : يمكنك ان تذهب الى ابعد الحدود اذا اقتضى الأمر ذلك .

فالتقط دريتون حقيبته وهو يقهقه ضاحكا . ثم انبعث واقفا ، واستأذن في الانصراف .

وما كاد السير آرليس يخلو الى نفسه بضع دقائق حتى عاد الحاجب يعلن قدوم مستر وستكوت ترين .

واجفل السير آرليس . ولكنه تمالك نفسه في الحال حتى لا يظهر امام الحاجب بمظهر المذعر .. فقال بصوت هادىء متزن : دعه يدخل !

وما كاد الحاجب ينصرف حتى غمغم المليونير قائلا : شد ما أعجب ماذا يريد ترين ؟ ! سوف يسوء موقفي كثيرا لو عرف بضياع الدبوس .

ونهض واقفا ، وقد ارتسمت في عينيه نظرة صارمة . واخذ يذرع الغرفة بخطى متثاقلة .

وبعد هنيهة فتح باب الغرفة ونفذ منه شاب في مقتبل العمر ، اسمر البشرة ، ازرق العينين ، تشع منهما نظرة تشف عن البرود .

وتقدم الشاب من المكتب . ورمق السير آرليس بنظرة تدل على الحقد المتأصل . فقال هذا بصرامة :

ـ احسب أني قلت في آخر لقاء بيننا انني سأقذف بك الى الخارج ان عدت .. فان العمل الذى نشترك فيه يمكن تصريفه بتبادل الرسائل .

فضاقت عينا ترين . وتقلصت عضلات وجهه .. ، ثم اجاب بحدة :

ـ انك لن تقذف بي الى الخارج ياسير ملكولم . اذ ليست لديك الجرأة على هذا .

فهز السير آرليس كتفيه استخفافا ، وسأل باحتقار ماذا تريد ؟

ـ احدى سجائرك الفاخرة !! آه ! شكرا لك :

وتمهل المليونير ريثما يشعل الشاب السيجار .. ثم قال : كنت اظنك في باريس .. فما الذى جاء بك الى لندن ؟ ..

ـ نوبة حادة من الحنين الى الوطن . وبواعث اخرى احداها السخط على نفسي ، وعلى العمل الدنيء الذى اتولاه لك منذ ثلاثة أسابيع ، لقد جئت لأقول لك انني فرغت منه

فهتف المليونير بصوت ينم عن القلق : احقا ؟ ! الم يغيب عنك شيء ؟

فأجاب الشاب وهو ينعم النظر الى وجهه من خلال سحب الدخان التى كان ينفثها من فمه : ربما !! لكن ما قيمة الحياة اذا فقد الانسان كرامته ؟ .. لقد استطعت ان تغل يدى وقدمى يا آرليس ، فخيل الى انك وادت روحي وقضيت عليها . ولكن سرعان ما اكتشفت انني اخطأت الظن .. خيل الى انك حطمتني ، ولكني تبينت انني فقط

اصبت بجروح بالغ في كرامتي .. وما زالت هناك بقية من ارجولة في اعماقي لا تلبث ان تنمو وتترعرع .

فقال السير آرليس ساخرا : ماهذه البلاغة الساحرة ؟ الا ترى من الخير أن تتحدث في لب الموضوع مباشرة .. ؟

فتجاهل ترين قول المليونير .. وأردف : لقد غادرت باريس ليلة امس وجئت لأخبرك انني لن استأنف هذا العمل الحقير الذى ارغمتني على اتيانه .. لقد ثارت كرامتي وتمردت ، واحسب انه ما زال في الوقت متسع لاصلاح تلك الثلمة التي اصابت حياتي .. افعل ما بدا لك يا آرليس ، الق بي في السجن او اقذف بي الى المشنقة ولكنك لن تستطيع ان تنال من روحي منالا .. فقد عولت على انقاذ ما تبقى من كرامتي .. وسأفعل .

فقلب آرليس شفته مغضبا ، وصاح : هذا كلام طيب . ولكنه مع الأسف صادر من فم قاتل أثيم !

فتقدم ترين خطوتين منه ، وقد شع من عينيه بريق الحقد وامتقع لونه ، ولكنه قال بهدوء : لا تقل هذا مرة اخرى يا آرليس ..

فهز المليونير كتفيه .. وراح يتأمل وجه الشاب بنظرة متفحصة .. ثم سأله : هل قابلت ابنتي فيرا ؟

فضحك الشاب ضحكة تفيض مرارة وأسى .. واجاب :

ـ اني ، برغم انحداري ، مازلت احترم كلمتي .. لقد كان اتفاقنا يقضي لي بعدم الاتصال بالآنسة آرليس باية وسيلة من الوسائل .. وقد نفذت الاتفاق بحرفيته وروحه . وعلى فكرة ، لقد وقع بصرى منذ بضعة ايام على احدى الصحف على مقال اثار اهتمامي .

فهتف آرليس بصوت ينم عن اللهفة : حسنا .. وماذا قرأت ؟ .

— ان ارسين لوبين شرفك بزيارته ، وسرق مجموعة جواهرك التى تعتز بها .. فهل كان الدبوس بين المسروقات ؟

فارتسمت على شفتى المليونير ابتسامة خبيثة . وقال بدهاء :

— اراك متلهفا على معرفة مصير الدبوس يا ترين .. ولا شك انك على استعداد لأن تضحى باثمن ما لديك لتتأكد من ضياع الدبوس الى الابد .. لكن هل غاب عنك ان ضياعه ليس كل شيء ؟

فعض الشاب على ناجذيه ، وراح يحدق فى وجه السير آرليس لعله يستطيع ان يهتدى الى قبس من امل يضىء له الظلمات التى يتخبط فيها .. ولكن وجه السير آرليس كان جامدا كالصخرة ..

واستطرد المليونير بعد هنيهة : وهل غاب عنك ان وجود الدبوس فى حوزة ارسين لوبين لا يقل خطورة عن وجوده فى حوزتى ؟ فما لم يحطمه لوبين ، وهو ما ليس محتملا ، فهناك خطر وقوعه فى ايدى البوليس .. فلا تحاول ان تطمئن نفسك بالآمال الخداعة يا ترين .. لقد اعاد لوبين الى الدبوس مع سائر الجواهر بمجرد ان اذعنت لشروطه .

ووقف الرجلان فترة من الزمن يتراشقان النظرات .. واخيرا سال ترين : وهل عاد اليك الدبوس سليما ؟

فقال السير آرليس دون ان تختلج فى وجهه عضلة واحدة .. نعم .. والان .. دعنا نضع حدا لهذه المهزلة يا صديقى .. فاما ان تعود فورا الى باريس وتنهى المهمة التى عهدت بها اليك او استدعى البوليس لزيارتى فى منزلى .. وهناك أعرض عليه حلية لاشك ستثير كل اهتمامه .

وجلس المليونير الى مكتبه ، وجذب التليفون نحوه وعندئذ

شاهد على وجه الشاب مزيجا من متناقض العواطف والاحساسات فقال برفق : ان القطار الذى يقل المسافرين الى القارة يسافر عند الظهر فينبغى ان تبادر بالرحيل ان اردت اللحاق به .

فتردد الشاب قليلا .. ورمق المليونير بنظرة شزراء .. ثم ما لبث ان بدا عليه وكانه قد حزم امره على راى معين .. فهز كتفيه . ثم تهيا لمغادرة الغرفة وهو يقول :

— حسنا .. ان لباريس بهجتها ومحاسنها على كل حال ..

وغادر الغرفة . وما كاد يغلق الباب خلفه حتى تنفس ارليس الصعداء . وراح ترين يهبط الدرج وئيدا . وهو مطاطىء الراس . ولو قد راى آرليس النظرة التى كانت تشع من عينيه فى تلك اللحظة لما ساوره الاطمئنان الذى الم به فى تلك الآونة ..

فغمغم الشاب لنفسه : اننى لا استطيع ان افهم هذا الثعلب الماكر ، ومع ذلك فانى ارتاب كثيرا فيما قاله لى عن الدبوس .. انى لا عجب .. !

— ٤ —

غادر مارتن ديل منزله فى كنتجستون فى الساعة العاشرة من صباح اليوم التالى . وانطلق الى منزله السرى فى بادنجتون . حيث اعتاد ان يتردد على هذا المنزل كلما عن له ان يقوم باحدى مغامراته ... او انتهى منها .

وقد قصد الى منزل حى بادنجتون فى هذا الصباح لانه احتفظ هنالك بالدبوس الذى تسعى فيرا آرليس للحصول عليه . كما ان يبعث بالجواهر التى يغتنمها من مغامراته اليه ريثما يبت فى امرها ، وبذلك يامن اكتشاف شىء يريبل اذا ما هاجم البوليس منزله كما حدث كثيرا .

كان قد حزم امره على اعادة الدبوس الى الآنسة آرليس اما بطريق البريد او مع رسول خاص دون توان .. ومع انه اعتاد الا يرتاد منزله السرى فى رابعة النهار ، فقد عول فى هذه المناسبة على كسر القاعدة التى جرى عليها غير عابىء بما قد يتعرض له من افتضاح او اكتشاف .. او بالوبية التى ربما ساورت الفتاة نفسها من ناحية شخصيته عند ما يعود اليها الدبوس ولما ينقض على وعده بهـ اكثر من ساعات معدودات .

واستقل لوبين سيارة الاومنيبوس .. ولكنها لم تكد تنطلق به شوطا من الطريق ، حتى احس بوابع خفى حمله على الانتقال من مقعده فى المقدمة الى آخر فى المؤخرة . واخذ يدمن النظر الى عرض الطريق ، فلاحظ ان سيارة تاكسي تتبع السيارة التى يركبها عن كثب .. وما لبث ان راى وجه رجل ملتصقا بزجاج نافـــذة التاكسى .. وكان الرجل يتطلع اليه فى اهتمام غير عادى .

وتذمر لوبين ، وانتابه الغضب ، ولكنه ما لبث ان وثب من السيارة عند اول منعطف ... واختلط بجماهير السابلة محاولا تضليل الرجل الذى كان يراقبه من نافذة سيارة التاكسي . فلما خيل اليه انه افلح فى تضليله شعر فجأة بيد توضع فوق كتفه . وسمع صوتا مالوفا لديه جيـدا يقول صاحبه : ما الغرض من هذه المناورة ؟ .. ومن ذا الذى تحاول تضليله ؟ ..

فقال ديل بحنق مكبوت : اهذا انت ايها المفتش ؟ !

راى امامه المفتش ويليام سمرز صديقه وعدوه اللدود . وكان هذا ينظر اليه باهتمام يخالطه الحـذر .

واستطرد ديل : لقد وقع بصرى منذ لحظات على رجل لم يرقنى منظره ، واحسب اننى استطعت ان اتخلص منـه

وتلفت حواليه بارتياح ، كانما « ازيح عن كاهله عبء ثقيل » وأردف :

ـ الى اين انت ذاهب يا عزيزى سمرز ؟

فقال المفتش بهدوء : الى حيث اتناول طعام الافطار ، وقد ظللت فى مكتبى حتى الساعة الثانية من صباح اليوم . تعال شاطرنى الطعـام .

ـ شكرا لك يا عزيزى ، لقد تناولت افطارى منذ فترة وجيزة ....

ـ اذن نستطيع ان نتبادل الحديث ريثما افرغ منه .

وتأبط ذراعه ، فسار ديل معه مرغما الى احد المطاعم الهادئة .. وقد اعتزم فى نفسه أن ينتهز اول فرصـة تسنح له ويستأذن من المفتش ليتم المهمة التى كان بسبيل انجـازها .

وعندما اخذا مجلسهما حول مائدة الطعام ، سأل ديل : وما القضية التى تحققها فى هذه الاونة ؟ .. لا احسبها احدى مغامرات ارسين لوبين ؟

فقطب المفتش حاجبيه واجاب .

كلا ، ليس للوبين ضلع فى الحادث الذى احققـه الآن ياديل .. سامنح لوبين اجازة قصيرة فى الوقت الحاضر ، لان القضية التى احققها تختلف كثيرا عن طبيعة مغامراته .

فحدق ديل فى وجهه باهتمام واعار المفتش كل سمعه فى انتظار ان يدلى اليه بتفاصيل القضية الجديدة ، كما حدث ذلك كثيرا من قبل . فعلى الرغم من عدائهما الشديد من الناحية العملية . فان سمرز لا ينفك يستشير صديقـه مارتن ديل فى القضايا الغامضة التى يعهد اليه رئيسـه بحثها .. وطالما امده ديل بالرأى الصائب .. والقـول الفصل .

واستطرد سمرز : انني اقلب الأرض والسماء بحثا عن شيء معين . انه تافه في حد ذاته . ولكن له أهمية قصوى في القضية ..

فضاقت عينا ديل فجأة ، وهتف : مدهش ! لكن بفرض انك عثرت عليه فماذا ستصنع به يا عزيزي ؟

ـ اقبض على الشخص الذى اجده معه .

فانتصب ديل في مجلسه ، وصاح آه ! وما هي تلك الجريمة المنكرة التي ارتكبها ؟

ـ جريمة قتل ..

فمال ديل الى الخلف في مقعده . وراح يعبث بآنية الملح في ضجر ، ولكنه كان يراقب المفتش من طرف خفي . وفجأة طاف بذهنه خاطر غريب . فقال دون ان يعي ما نطق به :

ـ اني لأتساءل عما اذا كان الشيء الذى تبحث عنه دبوسا اخضر اللون ؟

سقطت الشوكة من يد المفتش فجأة .. وحملق في وجه ديل مبهوتا .. وعندئذ ادرك هذا ، بعد فوات الأوان انه ارتكب خطأ فاحشا .. فراح يقدح زناد فكره بحثا عن مخرج من مأزقه .

صاح سمرز ، وقد نسى طعامه تماما : ماذا تعرف بحق السماء عن الدبوس الأخضر اللون ؟

فأجاب ديل وهو يتظاهر بقلة الاكتراث :

ـ وما الذى جعلك تنفعل هكذا ؟

كان ديل يشعر بشيء من الاطمئنان ، لمجرد علمه ان المفتش سمرز لا يرتاب في ان لأرسين لوبين صلة لقضية الدبوس الأخضر .. ولكنه مع ذلك . ادرك انه ينبغي ان يستعين بكل ذكائه كي يظل المفتش محتفظا بهذا الاعتقاد .

اجاب سمرز : ان موضوع الدبوس من المواضيع السرية جدا .. فاذا كنت تتحدث عن نفس الدبوس الذى أعنيه فلابد اذن ان بعض المعلومات قد تسربت .. او ان ..

وتمهل .. ومال نحو لوبين .. وحدق في وجهه بعينين كعيني الصقر .. ثم سأل : اين سمعت عن هذا الدبوس

فابتسم ديل ، وقال مراوغا : وهذا ايضا من الأسرار .. لقد حدثني شخص معين منذ بضعة ايام عن دبوس اخضر اللون ، ولكنه لم يصارحني بما صارحني به ـ وهو لا يكاد يذكر ـ الا بعد ان اقسمت له بألا ابوح لأحد بكلمة منه . فلا تحاول عبثا ان تعرف اسم الشخص الذى افضي الى بهذه المعلومات ..

ـ لكن جريمة قتل من المسائل الخطيرة ياديل .

ـ وكذلك افشاء الأسرار يا سمرز .. في استطاعتي ان ابوح لك بقدر معين مما اعلم . ان الشخص الذى حدثني عن الدبوس يتحرق لهفة للعثور عليه ، ولكنه مع ذلك برئ من تهمة القتل براءة الذئب من دم ابن يعقوب .

ما كاد ديل ينطق بهذه العبارة حتى خطر له خاطرا ازعجه .. ان فيرا آرليس لم توضح له شيئا وكل ما افصحت اليه به ، انه من الاهمية بحيث انها لا تدخر وسعا أو مالا لاستعادته .. وما سمعه من سمرز يشير الى ان هناك اسبابا لتلهفها الشديد على استعادته . فهل من المحتمل اذن ..

وكأنما لم يرقه هذا الخاطر .. فهز راسه .. وانبعث واقفا على قدميه .. وقال المفتش وهو يتجه صوب باب المطعم :

ــ اذا اردت مقابلتي فتعال ازيارتي في منزلي ..

وقبل ان يتمكن سمرز من الكلام ، كان ديل قد بلغ
الشارع . وراح يتلفت هنا وهناك .. فلما اطمأن
الى ان احدا ليس في انتظاره استقل سيارة تاكسي وانطلق
بها الى منزله في حي بادنجتون . فبلغه بعد الظهر .

ووقف ديل على مبعدة من باب المنزل .. والقى نظرة
حوله ، فلما استوثق من ان كل شيء على مايرام اخرج
المفتاح .. وفتح الباب ، ونفذ الى الداخل ثم اغلقه
بالمزلاج .. وتنفس الصعداء .

وتقدم من النافذة ، وتطلع الى الخارج طويلا .. ثم انتقل
الى نافذة اخرى تطل على مؤخرة المنزل ، ونظر من
خلالها .. فلما اطمأن قلبه ، فتح باب غرفة صغيرة ..
تكاد تكون عارية عن الاثاث .. وجرى باصابعه فوق احد
الالواح الخشبية التي تغطي جدرانها .. عندئذ سمع
صوت خافت .. وانزلق احد الألواح الى الداخل ، وتكشف
عن دولاب صغير ..

ومد ديل يده ، والتقط من احد ادراج الدولاب دبوسا
اخضر اللون .. ومضى الى النافذة ووقف عندها يتأمل
الدبوس ..

كان قد احتفظ به لأن منظره استهواه .. ولكنه ، بعد
ان راى لهفة فيرا آرليس واهتمامها به ، شعر بدافع
اشد يحمله على الاحتفاظ به ..

واخذ يحدق في الدبوس .. كان مصنوعا على هيئة
جانب من وجه امراة ، وقد حمله جمال النقش ودقته على
التأكد من ان صانعه قد بذل مجهودا عظيما ، واستعان
بكل فنه على اخراج تلك الدمية الرخيصة في ابدع
تكوين .. فقد كان التمثال يكاد ينطق ويفصح عن شخصية

تكوين .. فقد كان التمثال يكاد ينطق ويفصح عن شخصية
صاحبته .

قال يناجي الحلية : مما يؤسف له انك لا تستطيعين
الكلام .. اني على استعداد لأن اراهن على ان قصتك تفوق
اساطير المؤلفين وعباقرة الشعراء .. يقول صديقي
سمرز انك محور جريمة قتل .. ومع هذا فان فيرا
الحسناء بكل وسعها أن تعثر عليك .. ترى ما معنى هذا
كله ؟

وكلما انعم النظر الى الدبوس ، كلما اشتد اعجابه
به ، وزاد استئثارا بلبه ...

وتحول ديل ببصره الى ناحية اخرى .. فقد خامره
شيء من الامتعاض لأنه اعتزم اعادة الدبوس الى فيرا آرليس،
وخشي ان هو اطال النظر اليه اكثر من ذلك ان تفتر
عزيمته ، وينقض ما استقر عليه رايه ..

وبغير وعي منه ، راحت اصابعه تعبث بالدبوس ..
وما لبث ان صاح صيحة دهشة واستغراب .. ذلك ان
اصابعه ضغطت فوق نتوء دقيق جدا في احد جانبي تمثال
وجه المراة النصفي .. وفي التو برز من هذا الجانب قضيب
دقيق من الذهب الخالص .

وشهق ديل .. وحملق الى التمثال .. فراى في
الجانب الثاني نتوء آخر ، ما ان ضغطه حتى برز قضيب
مماثل للاول .. وكان القضيبان مقوسين بحيث يلتقي
طرفاهما المتحركان فيكونان حلقة تكفي لدخول معصم
المراة .

وادرك ديل للتو ان الدبوس يصلح ايضا لأن يكون
سوارا .. فغمغم دهشا : هذا شيء يثير الاهتمام ، ولو
انه ليس الاول من نوعه فقد طالما سمعت عن دبابيس

يمكن ان تلبس كسوار .. على كل حال .. لان ذلك
لا يفسر الضجة التى يثيرها هذا الدبوس .. لكن يا الهى ..
ما هـــذا ؟ !

لاحظ لوبين عدة خدوش دقيقة فوق قضيبى الذهب
الرفيعين . فادرك ان شخصا استعان بمدية حادة في
احداث هذه الخدوش .. وكانت هذه الخدوش على مقربة
من نقطة التقاء القضيبين مما جعله يعتقد ان احد
الاشخاص حاول ان يفتح السوار عنوة .. فلعل الشخص
الذى كان يحتفظ به لم يعرف بادىء الامر كيف يخلعه
ولامر ما ؛ حاول ان يحطمه عنوة ..

وكان هذا الخاطر مدعاة لتاويلات شتى ابتسم لها
مارتن ديل ..

وللمرة الثانية ضغط النتوءين الدقيقين فاختفى القضيبان
فى الجو .

كان الاكتشاف تافها فى حد ذاته .. ولكنه بدا هاما
فى عين ديل عندما تذكر الملاحظات الغامضة التى سمعها
من صديقه سمرز والانسة آرليس لذلك عول على
العمل .. ان فيرا آرليس ، برغم ريبتها فى شانه . ما زالت
تعتقد ان ارسين لوبين هو سارق الدبوس ، فلماذا لا يعيد
اليها ارسين لوبين نفسه هذا الدبوس ؟

غمغم ، وهو يضغط زرا خفيا فى الجدار ، فتنفرج
بعض الواح الخشب عن باب سرى يؤدى الى غرفة صغيرة
اخرج يا مارتن ديل .

وقضى نصف ساعة فى هذه الغرفة ، ولما تهيأ لمغادرتها
غمغم : ادخل يا ارسين لوبين

كان قد استحال رجلا غير الرجل .. حتى صوته كان قد
تغير تماما .. ففى خلال نصف الساعة التى قضاها فى

الغرفة السرية استطاع مارتن ديل ان يثب الى الامام عشرين
سنة .. ولو رآه اعز اصدقائه لما عرف ان هذا الرجل
الذى اشرف على الخامسة والخمسين هو مارتن ديل الشاب
الثرى ذو الشهرة الواسعة فى الاوساط الراقية

وانعم لوبين النظر الى نفسه فى المرآة من خلال
العوينات السمكية التى كان يضعها فوق عينيه . ثم ابتسم
دلالة على الرضا والارتياح

وتناول لوبين طعام الغداء فى المنزل ، وقضى بعد
الظهر كله فى المطالعة ، ولما توارت الشمس خلف
الافق تسلل من منزله ، ومضى الي اقرب تليفون عمومى .
واتصل بالانسة فيرا ارليس ..

وما كاد يسمع صوتها من الناحية الاخرى حتى قال
لها بذلك الصوت العميق المصطنع :
ـ اصغى الي يا انسة ارليس .. ولكن لا تلقى على اية
اسئلة .. سوف تعلمين اشياء تهمك كثيرا لو انك انتظرت
فى الركن الجنوبى الغربى من ساحة برايانت فى الساعة
الثامنة والربع

وسمع ديل من الناحية الاخرى . شهقة تدل على فرط
الدهشة .. فابتسم ، واعاد السماعة الى مكانها .. ولم
يكن يخالجه ادنى شك فى ان فيرا ستاتى فى الموعد ،
فهى ولا شك ستعتقد ان للمقابلة علاقة بالدبوس المفقود

وانطلق ديل الي احد المطاعم ، فتناول طعام العشاء ، ثم
قضى نصف ساعة وهو يطالع صحف المساء ويدخن ..
ثم استقل سيارة الاومنيبوس ؛ وهبط منها على مقربة
من مكـــان الاجتماع .

وبعد خمس دقائق توقف فى سيره وهو يتلفت يمينا وشمالا .. وما لبث ان راى الفتاة جالسة على احد المقاعد فى الركن الجنوبى الغربى من الساحة وعلى راسها قبعة عريضة الحواشى ، ولكنه عرفها فى الحال .. فابتسم ، وتقدم منها .. وجلس بجانبها فى هدوء .. ثم غمغم :

– الست انت الانسة فيرا اربيس ؟

فابتسمت الفتاة ابتسامة خفيفة . وحدقت فى وجه محدثها محاولة ان تتعرف عليه . ولكن الضوء كان ضعيفا فلم تستطع ان تتبين ملامحه .

قالت : شد ما اعجب كيف عرفتنى ؟ لماذا سعيت الى مقابلتى ؟

– الا تستطيعين التكهن ؟

فلزمت الفتاة الصمت هنيهة ، كانما تعذر عليها الكلام . وعندئذ استطرد ديل : اليس هناك شيء تبذلين من اجله كل وسعك للحصول عليه ؟

ودس يده فى جيبه بحركة ذات مغزى ، فهتفت الفتاة بلهفة شديدة :

– هل تعنى انه .. انه معك ؟

وحدقت البصر الى وجهه . ولكن لم تظهر على وجهها اية علامة تدل على انها عرفته .

قال لوبين وهو يخرج يده ببطء من جيبه :

– ثم امر واحد اود أن اعرفه . من تكون المراة التى تمثل صورتها فى التمثال ؟

فانتفضت الفتاة وهتفت بصوت خافت ينم عن الانفعال : اذن فهو فى حوزتك حقا ! ارجوك ان تعطينيه ! ارجوك !

فلم يحرك ديل ساكنا ، وقال : من صاحبة الوجه . لقد اجتذبت عيناها اهتمامى . حتى لأشعر باننى يجب ان اعرف اسمها .

فهمست الفتاة من بين اسنانها : آواه ! لقد ماتت صاحبته

– اماتت مقتولة ؟ !!

– نعم ..

وفى التو بسط ديل راحته للفتاة . فاختطفت الدبوس من يده . وانعمت النظر اليه هنيهة ثم همست وهى تثب واقفة على قدميها : شكرا لك !! قد لا نتقابل مرة اخرى . ولكن ثق ان سرك عند من يقدره قدره يا مستر ارسين لوبين .

وعلى اثر ذلك هرولت مبتعدة عنه . فبقى ديل ملازما مكانه هنيهة . ولم يفكر فى تعقبها لعلمه بان عقلها منصرف فى تلك اللحظة الى التفكير فى الدبوس

ونهض واقفا بدوره . وقد ادرك انه الم بكل ما كان يود معرفته . ان عبارة الفتاة تدل بوضوح على ان صاحبة الدبوس هى محور الجريمة التى يحققها المفتش سمرز .

ولو انه انطلق فى اثر الفتاة ، وراى ما حدث لها عقب صعودها الى سيارتها التى كانت فى انتظارها لما شعر بالضيق والضجر اللذين انتاباه فى تلك اللحظة

– ٥ –

كان المساء حارا ، والجو ساكنا ، والهواء راكدا .

ولم يشعر ديل بالرغبة فى العودة الى منزله السرى . ولكنه لم يستطع ايضا الانطلاق الى منزله فى حى كنجستون

خشية ان يثير مرآه وهو متنكر ريبة خادمه بلكنز . فوقف مترددا لا يعـرف ماذا يفعـل

وفجاة ، طاف برأسـه خاطر تهللت له اساريره .. كانت الملاحظة التى نطقت بهـا فيرا ارليس فى الليـلة المـاضية باعثا له على التفكير الجدى ، فما من شك في ان كثيرين غيرها قد فكروا فيمـا فكرت فيـه ، وعجبوا مثلمـا عجبت كيف امسـك ارسـين لوبين عن زيارة مارتن ديل الثرى المعروف طوال هـــذه المدة

واضحك ديل لمجرد التفكير فى ان يسرق منزله .. ولكنه كان يعلم ان مثل هذا العمل كفيل بأن يبعـــد عنه ريبـة اصدقائه ممن يتجهون فى تفكيرهم اتجاه فيرا ارليس

وعـول على سرقة منزله .. ولكنـــه راى ان الوقت لايزال مبكرا ، فمضى الى احدى صالات الموسيقى وقضى فيها ساعتين .. ثم غادرها الى منزله ، فبلغه بعد منتصف الليل بقليـل

كان يعـلم ان هذه المغامرة اخطر مغامراته ، فلو انه ضبط متلبسا وهو يسرق منزله ، لقضي بذلك قضاء مبرما على نفســـه

ومع ذلك فقـد صمم على انفاذ الفكرة لينفى الريبـة عن شخصيته المستعارة .. ومن ثم ادار بصره في الجـاء الطـريق ، فلمـا استوثق من خلوه من السابلة ، تقـدم من باب المنزل ، واستعان باحـدى ادواته ـ لكى يبدو الاغتصاب جليـا ـ وفتح البـاب .. ونفذ الى الداخـل ، ثم اغلقه خلفـه في هدوء

واصاخ ديل السمع هنيهـة .. ثم مشى الى الدرج ..

وصعده بحذر .. وانطلق الى غرفة المكتب حيث اعتاد ان يضع فوق مكتبه بضع تحف ثمينة

واضاء المصباح الكهربائى الموضـــوع فوقه .. وشرع يجمع التحف ويدسها فى جيبه .. ثم جلس الى المكتب ، واخـرج من جيبه بطاقته المشهورة ، وشرع يكتب فوق ظهرها الرسـالة المـاثورة بخط لا يمت الى خطه الحقيقى بصـلة : « لا اشك فى انك ستغفر لى دعابتى واجترائى على شيء مما تملكه ، على انني على استعداد ارد ما اخذت لو انك تبرعت بعشر قيمتـه للاعمـال الخيرية

ارسين لوبين »

ووضـع القـلم مكانه ، واخذ ينعم النظر الى ما كتب بعين الخبير .. وما لبث ان ابتسم .. وتقـدم صوب الخزانة الموضوعة فى احد جـدران الغرفة .. ولكنـه لم يكـد يخطو خطوتين حتى جمـد فى مكانه مأخوذا

سمع صوت حركة خافتة صادرة من ناحية البـاب ، فايقن أن خادمه بلكنز قد تنبه الى وجوده فى الدار ، فجاء ليتحـرى جليـة الامر

ولم تخف عليه دقة الموقف ، وراح يفكر بسرعة

وفى اللحظة التاليـة سمع صوتا يصيح به : ارفع ساعديك فوق راسك !

ولم يكن الصوت صـوت بلكنز ، وانمـا صوت المفتش سمرز . !!

واستدار ديل على عقبيه .. فاذا بالمفتش يصوب نحوه مسدسا اوتوماتيكيا ضخما ..

وتقدم سمرز الى الداخل .. ولما ادرك ديل انه من العبث ان يقاوم المفتش فى تلك اللحظة ، فقد رفع يديه فوق راسه

حار فى تعليل وجود المفتش فى منزله فى هذا الوقت المتاخر من الليل .. ولكنه كان واثقا انه يواجه اخطر موقف فى حياته

وما كاد سمرز يرى هيئة اللص ، حتى حلق فى وجهه مشدوها .. وخشى ديل ان يقدم سمرز على تجريده من تنكره وهو ما لابد فاعله ، وهنا تكون الفضيحة الكبرى

وقهقه المفتش ضاحكا .. وصاح :

- هالذا قد ضبطتك متلبسا ايها اللص اللعين !

وتقدم خطوتين الى الامام ، فتراجع ديل مثلهما الى الخلف مبتعدا عن دائرة الضوء ما استطاع . فقد ادرك ان سمرز لم يتبين ملامحه بعد ، ويعتقد انه ضبط لصا عاديا .

وكان سمرز قد بلغ حافة المكتب فى تلك اللحظة .. وحانت منه التفاتة عابرة الى بطاقة ارسين لوبين الموضوعة فوق المكتب فبدرت من فمه صيحة دهشة بالغة ..

وتحفز ديل للوثوب ، ولكن سمرز كان قد استعاد هدوءه .. وصاح وهو يحدق فى وجهه مشدوها : ارسين لوبين !! مرحبا يا صديقى .. كم ما يسرنى ان اراك بعد هذا الفراق الطويل .. تقدم من الضوء ودعنى ارى وجهك جيدا فقد كدت انساه

ولوح بمسدسه ، ولكن ديل لم يتحرك من مكانه .. وراح يرقب المفتش عن كثب ، وهو يقدح زناد فكره باحثا عن مخرج .

كان المفتش يعلم انه امام ارسين لوبين .. ولكنه لم يعلم بعد انه امام مارتن ديل .. وقد اصر على تأخير هذا الاكتشاف جهد طاقته .

وتقدم سمرز الى الامام خطوتين ، وهو يسدد مسدسه الى صدر غريمه العتيد .. ثم قبض على احدى ذراعيه بيده الطليقة ، وجذبه نحو الضوء .. فشعر ديل بالاغراء يستولى عليه لينقض على المفتش بقبضته ويلوذ بالفرار ، ولكنه قدر ان مثل هذه المحاولة قد تؤدى الى عكس النتيجة المنشودة منها .. فقد ينتبه المفتش لما يعتزمه ويطلق عليه النار

واطلق سمرز ذراعه .. ونظر اليه بابتهاج .. ثم وضع يدفع فى احد جيوبه ، واخرج منه قيدا حديديا ..

وتلاعبت على شفتى المفتش ابتسامة ذات مغزى .. فقد ايقن ان اسعد لحظات حياته قد حانت وانه على وشك تحقيق اعظم امنية تاقت اليها نفسه

قال وهو يلوح بالقيد فى وجه لوبين : لقد حسبتك بادىء الامر مدرسا فى احدى الجامعات .. فقد كنت الى لحظة يسيرة اعتقد ان ارسين لوبين شاب معين لا حاجة بنا الى ذكر اسمه

وضحك ضحكة طروبا .. ثم استطرد : ابسط ذراعيك !

وتقدم منه ، وهو يلوح بالقيد الحديدى ، فلم يتحرك لوبين ، وبقيت ذراعاه مرفوعتين فى الهواء

وعند ئذ صاح المفتش بلهجة آمرة : قلت لك ابسط يديك ! وحذار ان تحاول المراوغة او الفرار الا اطلقت

عليك النار .. انك الشيطان بعينه ولكنى لن اسمح ، او اترك لك فرصة لاتمام احدى الاعيبك الشريرة

فقال لوبين بذلك الصوت العميق المتئد : انك مخطىء .. قد تستطيع ان تظفر بى ميتا ، واحسب ان ذلك لن يرضيك ، لكنك لن تأخذنى حيا .. لاننى لن اسمح لك

فانتفض المفتش سمرز .. وقطب حاجبيه .. وهم بالكلام ، ولكنه امسك ، اذ دق جرس التليفون الموضوع فوق المكتب فى تلك اللحظة .. فشعر ديل برغبة جامحة فى التقدم من التليفون والتقاط السماعة .. ولكن سمرز نظر اليه متوعدا ، فهز كتفيه ، وتظاهر بان الامر لا يعنيه
قال المفتش : هلم يا لوبين ابسط ذراعيك امامك !

فنظر اليه ديل ببرود ، ولم يجب .. فثارت ثائرة المفتش ، وتقدم منه ، وجذب احدى ذراعيه الى اسفل .. ولكنه عاد فتركها ونظر الى الباب من ركن عينيه .. ذلك انه سمع وقع اقدام فى الردهة وما لبث ان راى الكنز خادم مارتن ديل ينفذ الى الداخل وهو يرتدى معطفا منزليا انيقا ويختال فى مشيته .

وقطب لوبين حاجبيه .. فقد زاد ظهور خادمه على المسرح من تعقيد الموقف ..
وتقدم الكنز من التليفون . وعندئذ سأله سمرز : هل عاد سيدك من الخارج ؟

فتمتم الخادم وهو يحملق فى وجه ارسين لوبين : كلا ، لم يعد بعد يا سيدى ، فهو ، كما اخبرتك لا يعود من الخارج الا متأخرا جدا .. لكن من .. من هذا الرجل يا سيدى ؟

ـ لا بأس له .. اجب المتكلم ثم اطلب من العائلة ان تصلك باسكتلانديارد
ـ حسنا يا سيدى ..

والتقط بلكنز السماعة بيد مضطربة وعندئذ كف جرس التليفون من الرنين .. وساد الصمت هنيهة ..
وقال لكنز : هالوا ! من المتحدث ؟ !

ورمقه ديل بلهفة .. وهو يتسائل عمن عساه يكون المتحدث فى هذا الوقت المتأخر من الليل .

وما كاد يسمع صوت المتحدث فى التليفون ، حتى اندفع نحو بلكنز غير عابىء بمسدس المفتش سمرز وانتزع السماعة من يد الخادم .. وعندئذ سمع صوتا نسائيا يهيب به فى فزع شديد :

ـ مستر ديل ! مستر ديل ! تعال فى الحال ! انهم ... الوداع !!

واعقبت ذلك صرخة مؤلمة ، ثم ارتطام شيء بالارض ، كأنما اسقطت سماعة التليفون من يدها عنوة ..

وجمد ديل فى مكانه .. كان الصوت صوت فيرا آرليس ، وكانت تتحدث لهجة تنطوى على رعب عظيم
وشد قامته ، ونظر الى مسدس سمرز بتحد وقلة اكتراث .

كان موقنا ان فيرا آرليس فى خطر ، وانها ارادت الاستنجاد به ، ولكن شخصا لم يمكنها من ذلك .
والتفت حين جال بخاطره ما قد يكون قد حل بالفتاة فى تلك اللحظة .

- ٦ -

عندما افترقت فيرا عن ارسين لوبين ، انطلقت الى حيث كانت سيارتها فى انتظارها وهى تقبض على الدبوس بعنف .. ومع انها كانت تشعر بالارتياح فانها لم تخفف من حسابها تلك المسئولية الملقاة على عاتقها . كانت تعلم انها حارسة على شيء أكثر من الموت او الحياة بالنسبة اليها .. فقد حتمت ظروف موتها ضرورة الاحتفاظ بهذا الدبوس، بحيث لا يقع فى ايدى اشخاص قد يستعينون به على ادراك ومآربهم الجهنمية .

ومن ثم قررت فيما بينها وبين نفسها الا تسمح لأحد بالاستيلاء على الدبوس مستقبلا ، وخطر لها ان تحطمه ، او ان تخبئه حيث لا يستطيع احد الوصول اليه .. ولكنها ادركت انها عاجزة عن انفاذ احدى الفكرتين فى تلك اللحظة فآثرت الانتظار ريثما تفكر فى الامر مليا

وكان سائقها وليام ينتظرها بالسيارة عند نهاية المساحة .. ومع انها لم تكن تثق بهذا السائق كثيرا ، فقد زادت ريبتها فيه فى تلك الليلة اذ انه كان لا يفتأ ينظر اليها نظرات غريبة حارت فى تفسيرها او تأويلها . حتى لقد اخذ الذعر يتمشى الى قلبها .. وجسم لها الوهم المخاطر الشديدة التى تنتظرها بعد ان ظفرت بالدبوس من ارسين لوبين

خطر لها ان وليام متآمر ضدها مع تلك القوى الخفية التى تسعى لتحطيم حياتها بالاستيلاء على الكنز الثمين .. فانتفضت ، وجزعت ..
وكانت السيارة تقف امام واجهة أحد الحوانيت .. فنزل الوحى على الفتاة فجأة .. وتهللت اساريرها .

وراَها وليام وهى مقبلة ، فهبط من مقعده ليفتح لها باب السيارة ، ولكنها طلبت اليه ان يتمهل ريثما تبتاع شيئا من الحانوت .. ثم مرقت من باب الحانوت قبل ان يتمكن السائق من الكلام

وعمست لاحدى البائعات : اريد غلافا متينا من فضلك فشرعت العاملة لتلبى طلبها .. ودفعت فيرا الثمن ، وتحولت كانما لتنصرف ، وفي غفلة من الجميع ، وضعت الدبوس داخل الغلاف .. ثم اغلقته بعناية شديدة .. واستعرضت فى ذهنها اسماء صديقاتها وما لبثت ان سجلت اسم وعنوان احداهن فوق الغلاف .

وغمغمت قائلة لنفسها : لا ريب ان ليليان ستصعق عندما تتلقى هذا الغلاف ، فيجب ان اتصل بها تليفونيا بمجرد وصولى الى المنزل لأعدها للمفاجأة المنتظرة

وخيل اليها ان وليام ينظر اليها نظرة غريبة وهى تتقدم من صندوق البريد ، وتقذف بالغلاف فى جوفه .. ولكنها لم تعبأ به وشعرت باطمئنان عظيم عندما ايقنت ان الدبوس قد اصبح فى مكان حريز ..

وعادت الى السيارة ، فانحنى لها وليامز باحترام شديد .. وما كادت تصعد اليها ، حتى تنفست الصعداء ، وامرت وليام بالذهاب الى المنزل .

ووثب السائق امام مقعده وبدات السيارة تتحرك ، ولم تلبث ان اخذت تنهب الأرض نهبا بسرعة مخيفة ..

وبينما كانت الفتاة تسبح فى واد من الخيالات والاوهام .. حانت منها التفاتة عابرة الى عرض الطريق ، وما لبثت ان

انتفضت . عندما تبينت السرعة الهائلة التى تسير بها السيارة . ولاحظت ان السائق لا يسير فى اتجاه المنزل . وانما يسلك طريقا مظلما كثير الانحناءات

ومالت نحو فوهة الانبوبة التى تصلها بالسائق . ولكنها احست وكان عينين كعينى الصقر تراقبانها من ركن السيارة الاخر . فالتفتت مذعورة .. وعندئذ سمعت صوتا يقول لها :

– لا جدوى يا انسة ارليس . ان لدى وليام اوامره ، ومن العبث أن تحاولى اقناعه باوامرك . فخير لك ان نتجاذب اطراف الحديث أولا

وانكمشت الفتاة فى مكانها . وراحت تحدق فى وجه محدثها مرتاعة ، مسلوبة اللب .. وما لبث الرجل ان وضع يده فوق كاهلها ، فاحست وكان اصابعه توشك ان تقبض على عنقها كيلا تصرخ اذا خطر لها الصراخ .

واستطرد الرجل : ان مصلحتك تقتضي عليك بالسيطرة على اعصابك ، فطالما تلزمين جانب التعقل والرزانة فلن يصيبك ضر . انى اريدك على ان توضحى لى امرا او امرين . من كان الرجل الذى تحدثت اليه فى الساحة ؟

فقالت الفتاة . وقد عاودتها شجاعتها ، عندما ادركت ان الدبوس قد اصبح فى مأمن : وماذا يحدث لو رفضت الكلام ؟

فقال الرجل بلهجة كلها وعيد : من الحكمة ان تتكلمى . فان الوقت اثمن من ان يضيع فى حديث لا جدوى منه . لقد كنت مراقبة بدقة خلال الايام الاخيرة دون ان تفطنى

فقالت الفتاة ساخرة : انك تثير فضولى يا سيدى . لكن من الذى وضعنى تحت المراقبة !

فضحك الرجل ضحكة عالية . وقال :

– اوه .. دعينا منه . فقط اصغى الى .. لقد كان فى تصرفاتك امس واليوم ما يثير الاهتمام . ففى ساعة مبكرة من صباح اليوم ذهبت الى منزل ملاين ديل . وقابلت الليلة رجلا اخر . وقد اعطاك هذا الرجل شيئا معينا . وانا اريد هذا الشيء !

فنظرت فيرا اليه نظرة اهتمام .. وسرها انها استطاعت ان تنتصر عليه . ولما استبطأها الرجل فى الاجابة . استتلى قائلا بصوت حاد : اين هو ؟ خير لك ان تسلميه دون جلبة . انى لا اريد ايذاءك

فقالت بسخرية : انك رجل متواضع يا سيدى . لكن كيف يستطيع الانسان ان يعطى شيئا ليس فى حوزته ؟

فنهق الرجل . وتمتم بضع كلمات غير مفهومة . ثم انقض على حقيبتها اليدوية . وانتزعها منها . فاطلت الفتاة من النافذة لكنها لم تستطع ان تميز شيئا غير صف مستطيل من المنازل العتيقة . فادركت ان السيارة تسير بها فى القسم الشمالى الشرقى من لندن وهو احقر احياء المدينة جميعا

وكان الرجل قد قلب الحقيبة ظهرا لبطن . ولما تأكد ان الدبوس ليس بداخلها قذف بها فوق ارض السيارة . وجرى بيده فوق ثوب الفتاة وفتش جيوبها . وفى تلك الاثناء كانت يده الاخرى على مقربة من عنقها استعدادا لخنقها فيما لو خطر لها ان تصيح فى طلب النجدة

واخيرا سب الرجل ولعن . ثم كف عن التفتيش .

وابتسمت فيرا ، وسألته بتهكم : هل اقتنعت ؟

فاجابها بصوت منفعل : كلا .. اما انك تحتفظين به فى احد اجزاء ثوبك ، او انك تعرفين اين ..

وقرب وجهه من وجهها . ثم استطرد بحدة : ماذا كان يحوى ذلك الغلاف الذى القيت به فى صندوق البريد قبل ان تصعدى الى السيارة مباشرة ؟

فضحكت الفتاة ضحكة خافتة . وادركت ان الرجل قد رآها وهى تلقى بالغلاف فى صندوق البريد ، ولكنه لم يفطن الى ان الدبوس كان به !

قال الرجل ، وقد ابدت ضحكتها شكوكه : انك شديدة الذكاء يا فتاة .. ما كان يخطر ببالى ان تلجئى الى هذه الحيلة البارعة . ولكنها مع ذلك لن تفيدك شيئا . سوف اجعلك تتحدثين رغم انفك . فمهلا

وقرب فمه من فوهة انبوبة الكلام . وخاطب وليام بصوت خافت . وما لبث السائق أن هدأ من سرعة السيارة .. وادارها فى اتجاه مضاد .

وفى اللحظة التالية احست فيرا بما يشبه فوهة مسدس تلتصق بجانبها وسمعت رفيقها يقول بصوت ينذر بالشر حذار ان تتحركى .

وبعد ربع ساعة بدات السيارة تخفف من سرعتها . وما لبثت أن توقفت امام باب منزل عتيق . فقال الرجل وهو ينظر من نافذتها :

– سنهبط هنا . فاذا كنت تقيمين وزنا لحياتك فخير لك ان تعتصمى بالهدوء .

وفتح باب السيارة ، ثم هبط منها . وجذب الفتــاة بعنف الى الخارج . وحملها بين ذراعيه عبر الافريز .

حدث كل ذلك فى لحظات معدودات ، فلم تجد فيرا من الوقت متسعا للمقاومة . وفتح رفيقها باب الدار . ودفعها الى الداخل . ثم جذبها نحو الدرج . وارغمها على الصعود بهدوء تحت تهديد المسدس .

واخيرا توقفا امام احد الأبواب ، وبينمــا كان الرجل يخرج المفتاح من جيبه ! استطاعت الفتاة ان ترى لوحــة مثبتة على احد جانبي الباب ، وقد كتب فوقها هذه العبارة « مكتب دربنون للبحث السرى الخاص » .. وعندئذ زادت مخاوفها وشكوكها . فقد طالمــا سمعت عن هذا المكتب وما اصاب من سمعة سيئــــة ، وما اشتهر به مؤسســه من الالتجاء الى الوسائل المشروعة وغير المشروعة لبلوغ مآربه ..

وفتح الرجل الباب ، واشار اليها بالدخول . ولم يتمهل ريثما يضيء النور وانما سارع اولا باغلاق الباب بالمفتــاح ثم ضغط زر النور . فغمر الضوء الغرفة .

واجالت فيرا بصرها فيما حولها . فرأت نفسهــــا فى غرفة مكتب حقير ! ولكن الرجل لم يترك لها وقتا للتأمل . اذ بادر وفتح بابا جانبيا ، وقال لهجة صارمة : تعالى هنا !

ولم تجد فيرا مفرا من الانصياع لامره . ودخلت الى غرفة صغيرة ! لا نوافذ فيها ولا وسائل للتهوية ! وقد اكتظت جدرانها بالحافظات والملفات .

واغلق الرجل الباب بعنف .. فساد الظلام . . وبعــد لحظة من التردد ، تقدمت فيرا من الباب . وادارت مقبضه بهدوء .. ثم غمغمت باستياء :

– سجينة !!

وساد صمت مقبض . وبدات اعصابها تتوتر .. من تأثير الذعر الذى اخذ يستحوذ عليها . فبدات شجاعتها تخونها . ولكنها لم تلبث ان سمعت صوت الرجل وهو ينطق برقم ، فايقنت انه يتحدث فى التليفون . واعقب ذلك لغط خافت لم تستطع ان تميز منه شيئا ، ولكنها ادركت انها محور الحديث .. وان الشخص الذى يحدثه سجانها يدعى درانون لعله مدير المكتب .

وبعد هنيهة ساد الصمت مرة اخرى .. ثم فتح الباب . واقبل الرجل عليها . وهو ينظر اليها بعينين يتطاير منهما شرر الغضب .. وقال بصرامة :

– هناك شىء واحد اريد ان اعرفه . لكن اعلمى اولا اننى لن اجد صعوبة فى حملك على الكلام برغمك ، فاياك والمراوغة .. لاننى مصمم على ان انتزع منك المعلومات التى اريدها قبل ان تغادرى هذا المنزل .

وكف عن الكلام هنيهة كأنما ليترك لها فرصة لتستوعب تهديده . ثم استطرد : ماذا كان العنوان الذى كتبته فوق الغلاف ؟

فانتفضت فزعا .. اذ لم يكن قد خطر ببالها حتى تلك اللحظة ان الرجل سيحاول الحصول على الغلاف قبل ان يسلمه ساعى البريد الى المرسل اليها .

وآثرت ان تلتزم الصمت مؤقتا . فلم تجب .. وعندئذ استطرد الرجل :

– حذار من الكذب ايضا .. واعلمى ان ليس ثمة جدوى من املائى عنوانا مزيفا .

وحدقت الفتاة فى وجهه . وراحت تفكر بسرعة .. قبض الرجل على ذراعيها ! اسفل المعصم قليلا ، ثم ضغط براحة يده اصبعها البنصر الى الخلف بوحشية ، ذات موجعا ..

وصاح الرجل : تكلمى !! اسرعى !!

احست الفتاة بألم لا يطاق يسرى فى كل جسدها .. ولكنها مع ذلك لم تجب ..

فقال الرجل : هذا فقط لون بسيط من الوان التعذيب التى تنتظرك اذا اصررت على الصمت .

ولم تجد الفتاة منجاة مما ينتظرها غير ان تذكر له عنوانا مزيفا .. وبذلك تظفر على الاقل بهدنة ، قد تستطيع خلالها ان تدبر امرها . وتجد لها مخرجا من هذا المأزق الخطير ..

وراحت تستعرض عنوانات صديقاتها .. والاماكن التى تعرفها .. وما لبثت ان نطقت باحدها على غير وعى منها وقالت :

– بارك لين ٦٩ !

وفى التو ، خفف الرجل الضغط عن اصبعها وحملق فى وجهها بحدة .. ثم صاح : ٦٩ بارك لين ؟!

وتهللت اساريره . ونظر الى ساعته .. وهز راسه .. تعجبت الفتاة لمسلكه .. لقد كذبت عليه ومع ذلك بدت عليه سمات الرجل الواثق من انها نطقت بالصدق . وزاد تعجبها وهى ترى كيف كان للنطق بهذا العنوان وقع السحر .. ولكنها كانت فوق المقعد المجاور للمكتب لتستعيد قواها ..

ووقف الرجل قبالتها ، ونظر الى ساعته مرة اخرى . ثم قال :

– انني واثق انك قلت الصدق .. ولكنني لن اترك شيئا للصدف .. فسابقيك هنا حتى يودع بريد الصباح الاول . فنامي الليلة مطمئنة ولا تخشي شيئا .

واغلقت فيرا عينيها .. واخذ رقم ٦٩ يتبخر من راسها تدريجيا .. وكانت قواها قد بدات تعود اليها . ففتحت عينيها مرة اخرى ولم تجد للرجل اثرا في الغرفة . ولكنها سمعت وقع اقدامه وهو يتحرك في الغرفة الصغيرة التي كانت سجينة فيها .. وكان باب الغرفة مفتوحا . فحدقت في المفتاح الموضوع في القفل .. ووثبت الى مقلتيها فكرة جريئة جعلتها تبتسم بخبث ..

نهضت فجاة عن مقعدها . ثم عبرت الغرفة في هدوء تام . وكان الرجل لا يزال يتنقل في الغرفة ، وهو يقلب حافظات الملفات كانما يبحث عن شيء معين . ويبدو انه كان مطمئنا الى ان الفتاة لن تقوى على المقاومة او الحركة فترة من الزمن .

واقتربت من الباب .. ثم جذبته في حركة سريعة ، واغلقته بالمفتاح .. وفي التو سمعت من داخل الغرفة صيحة تنم عن الغضب . فضحكت بسخرية واسرعت الى الباب الخارجي .. ولكنها وجدته مغلقا ، وتذكرت ان الرجل كان قد وضع المفتاح في جيبه . فتلفتت حولها الى النوافذ ، ولكنها ايقنت انه من المستحيل ان تتمكن من الفرار عن طريقها لارتفاعها ما لا يقل عن مائة قدم عن الارض

وكان سخط الرجل قد بدا يشتد في تلك اللحظة .

فانهال من فمه سيل من السباب والصخب . وانقض على الباب بكتفه محاولا تحطيمه . فادركت الفتاة انها ان لم تبادر بالعمل ، فسيكون قصاص الرجل منها رهيبا .

وحانت منها التفاتة الى التليفون . فسرى الامل في نفسها ومدت يدها الى السماعة ، ولكنها سرعان ما عادت فسحبتها فقد كان اول ما جال بخاطرها ان تتصل بالبوليس في طلب المعونة ولكنها عادت فادركت ان موقفها من البوليس سيكون شديد السوء فيما يتعلق بالدبوس الاخضر . وخطر لها ان تتصل بابيها ، ولكنها تذكرت ان اباها لن يكون اقل شفقة عليها من البوليس ، لانه بدوره يسعى للحصول عليه وعندئذ راحت تستعرض في مخيلتها اسماء الرجال من اصدقائها .. فقد كان الموقف يتطلب رجلا ذا ساعد قوى وعقل واسع .

وسمعت فيرا صوت تحطم شديد صادرا من ناحية باب الغرفة الصغيرة اعقبته فرقعة اشد ، فنظرت الى الباب من فوق كتفها ، وبدا الياس ينتابها عندما رات بضع قطع صغيرة من الخشب تتناثر داخل الغرفة .

وفي اللحظة التالية غمغمت بارتياح : آه ساتصل بمارتن ديل ..

والتقطت سجل التليفونات .. واخذت تقلب صفحاته على عجل .. فلما عثرت على الرقم المنشودة التقطت السماعة ، وطلبت من العاملة ان تصلها بهذا الرقم . ومرت اللحظات ثقالا ، قبل ان تسمع صوتا من الناحية الاخرى . فصاحت بلهفة : مستر ديل !! مستر ديل !! النجدة ..

ولم تستطع ان تضيف الى ذلك حرفا واحدا . فقد

فحطم الباب فى تلك اللحظة . وانقض عليها سجانها فانتزع سماعة التليفون من يدها عنوة .. وقال بصوت يتهدج من فرط الغضب :

— سوف تندمين اشد الندم على تصرفك هذا ايتهـــا الفتـــاة .

- ٧ -

ظل ديل يحدق فى فوهة المسدس بعينين كعينى الصقر وكانت صرخة الاستغاثة لا تزال تدوى فى اذنيه . ولم يكن يشك فى ان سمرز قد سمعها ايضـــا : فقد رآه ينظر الى ســـماعة التليفون من ركن عينه . واما بلكنز فكان لا يزال يحمل السماعة فى يده .. وهو يردد الطـرف بين الرجلين .

وغمغم الخادم : ان شخصا ... اعنى سيدة .. تستفسر عن مستر ديل ياسيدى .. ويخيل الى انها فى شدة .

وساد الصمت بضع لحظات .. واخيرا قال ديل بذلك الصوت العميق المتهدج موجها الحديث الى المفتش : هل لى ان اقترح عليك الاتصال بعاملة التليفون لكي تخبرنا من اين صدرت المكالمة التليفونية ؟ فى استطاعتك ان تطمئن الى وعدى بالى لن اتحرك من مكانى حتى تفرغ من هـــذا الاتصـــال .

فنظر ايه سمرز نظرة ارتياب . ولعله خشي ان يكون فى الأمر خدعة . ولكنه تبين من نظرة اللص انه غير هازل فيما بعد . ومن ثم التقط السماعة بيده الطليقة ونطق ببضع كلمات .. وبعد لحظات من الانتظار ، اجهم وجهه . وغمغم لقد صدرت المكالمة من شافتسبورى ٤٠٠٤ . هذا عنوان

مكتب دريتون للبحث الجنائى الخاص .. يا العجب ، ما الذى يفعله هؤلاء الاوغاد الآن ؟

وتردد هنيهة . ثم قال :

— حسنا .. سأتصل باسكتلانديارد ! وآمر اثنين من رجال البوليس بالتوجيه اليه للتحقق مما يحدث فى هـذا المكتب المريب .

والمرة الثانية التقط المفتش سماعة التليفون .. وهو حريص على مراقبة « ارسين لوبين » ومسدسه مهيأ فى يده لاطلاقه عند الضرورة .

فقال ديل : قد يقتل شخص خلال الفترة التى ستنقضى بين اتصالك برجالك وبين انطلاقهم الى هناك .. فلمـــاذا لا تذهب بنفسك ؟ اعدك بشرفى الا اتحرك من مـكانى حتى تعـــود ..

فقهقه سمرز ضاحكا .. وصاح ساخرا : اتظننى طفـلا يا لوبين حتى أصدقك ؟

فاجـاب ديل باصرار : اذن فقد انتهت الهـــدنة التى عقـدناها .

كان يعلم ان سمرز لن يتردد فى اطلاق النار عليه لو حاول الفرار .. ولكنه كان موقنا ان المفتش لايحمل اطلاق النار على رجل يتقدم منه فى شجاعة ، مزدريا المسدس المصوب الى صدره . ومن ثم شرع يقترب منه بخطى وئيدة ليضع المفتش السماعة فى مكانها .. وحدق فى وجـه ديل . ثم صـاح بلهجة آمرة : قف والا اطلقت النار عليك !

فلم يعبأ لوبين بالانذار .. ولم يطلق سمرز عينيه .. فقد ظل ديل يتقدم نحوه ، وقد تألقت في عينيه نظرة تحد وقلة اكتراث .

وتوقف امام فوهة المسدس تماما . فنظر اليه سمرز محيرا .. ذلك انه لم يسبق ان راى رجلا ، حتى ارسين لوبين نفسه ، يتحدى الموت بهذه البسالة النادرة .

وفي اللحظة التالية تلقى المفتش مفاجأة جديدة .. ذلك ان ارسين لوبين مد يده ، واختطف المسدس منه في حركة سريعة ثم غمغم : شكرا لك ايها المفتش .. انك رجل شهم

وكان ذلك اعظم اطراء صدر من ارسين لوبين في حياته الحافلة بالمغامرات لرجل بوليس .

وفي اللحظة التالية استدار لوبين على عقبيه ومرق من باب الغرفة كالسهم .. فجمد المفتش والخادم على السواء في مكانهما من فرط المفاجأة . وما لبثا ان سمعا الباب الخارجي يغلق بعنف فدبت الحياة فجأة في المفتش ! وانقض على التليفون والتقط السماعة .

واما ديل فانطلق من فوره الى الشارع .. ثم الى اقرب تليفون عام . ومن دليل التليفونات استطاع ان يعرف عنوان مكتب دربنون . وبعد خمس دقائق كان يستقل سيارة تاكسي ومنطلقة به بأقصى سرعتها .

وتوقفت السيارة اخيرا في شارع صغير معتم ، فوثب ديل الى الافريز ، والقى للسائق بقطعتين من النقود الفضية ثم ارسل بصره في ارجاء الطريق . فلما استوثق من اقفاره من الرقباء تقدم من باب المنزل في خطى سريعة .

كان الباب مغلقا ، ولكنه لم يستعص على براعتــه فلم ينقض بضع ثوان حتى كان يتسلل الى الداخل .

واستطاع ديل ان يعرف موقع مكتب دربنون من صناديق الخطابات المعلقة في صحن المنزل .. واخذ يرتقي الدرج مشيا ، حتى بلغ الطابق الخامس .

واصاخ السمع .. ولكنه لم يسمع صوتا او يرى ضوءا صادرا من داخل الشقة .. فساورته الريبة .. واستعان بالآلة الحادة على فتح الباب في هدوء . وراح يتحسس الجدار بيده باحثا عن مفتاح النور ، فلما غمر الضوء المكان بدرت من فمه صيحة تدل على فرط الاستياء .
لم يجد احدا بالغرفة والفى باب الغرفة الصغيرة محطما فهز راسه في اكتئــاب .

وراى دليل التليفونات مفتوحا ، فتقدم منه ، فوقع بصره على حرف (د) باعلى الصحيفة فابتسم .. وحاول ان يتصور ما حدث بالضبط .. كانت صرخة الاستغاثة التي سمعهــا في التليفون دليلا قاطعا على ان الآنسة آرليس كانت في خطر شديد .. ولا ريب انها لم تتمكن من الاستغاثة لأن انقض عليها وهي تتحدث تليفونيا وانتزع السماعة من يدها ومن المحتمل ان الرجل قد خشي ان يحاول الشخص الذي اتصلت به الفتاة ، سؤال عاملة التليفون عن مصدر المكالمة ومن ثم اضطر الى ترك الدار مع الفتاة . ولم يدع لدليل واحدا على المكان الجديد الذي انتقلا اليه .

وشعر ديل بالأسف لأنه لم يتعقب الفتاة عندما انصرفت من مقابلته .. فلو انه فعل . فربما كان قد استطـــاع ان يجنبها المتاعب الجمة التي تعرضت لها .

ولكن ما فائدة الأسف . وقد وقع المكروه . ثم انه كان مقدرا تماما للخطر الذى يتعرض له بالبقاء طويلا فى المكتب فلا ريب ان سمرز سيقيم الدنيا ويقعدها للبحث عنه وربما كان قد اعطى اوصافه لاسكتلانديارد فى تلك اللحظة . . واذيعت فى انحاء المدينة لينشط رجال البوليس جميعا للقبض عليـــه .

وادرك ديل انه غير مستطيع ان يفعل شيئا من اجـــل الآنسة آرليس فى الوقت الحاضر . وعول على التخلص اولا من تنكره ليتمكن من العمل بحرية وبلا خوف . ومن ثم اطفأ النور ، وراح يهبط الدرج ، ولكنه ما كاد يتوسـطه حتى سمع وقع اقدام ترتقيه . وكان اول ما خطر له ان القادم هو المفتش سمرز ، وعندئذ تراجع الى الخلف ، والتصق بالجدار ، حتى مر القادم من امامـــه دون ان يـراه ، ومن ثم هبط ديل بقية الدرج ، ونفذ الى الشارع ، وتلفت حواليه بحذر ، فلما اطمأن الى ان كل شيء على ما يرام هرع الى اقرب موقف للسيارات ، واستقل سيارة . انطلقت به الى منزله السرى فى بادنجتون .

وبعد نصف ساعة غادر ديل منزله السرى ، وقد تخلص من تنكره واطمأن الى ان سمرز لن يرتاب فى امره . ولم يكن قد رسم خطة العمل بعد . ولكنه راى ان يعود الى مكتب دربنون حيث فقد اثر الآنسة آرليس وحيث يستطيع ايضا ان يبدا بحثه عنهـــا .

وما كاد يصل الى المكتب حتى راى الضوء مشتـــعلا ، ولكن المكان كان خاليا . فادرك ان سمرز او من جاء الى المكتب .. فتش المكان ابان غيبته . ثم انصرف دون ان يطفىء النور .

فبدا مهمته من فوره وراح يفتش الغرف جميعـا دون ان يقع على اى اثر يهديه الى مكان فيرا . واخيرا . ادرك الا فائدة من الاستمرار ، وتهيا للانصراف . ولكنه ما لبث ان سمع وقع اقدام ترتقي الدرج . فاطفا النور على عجل وركض الى الغرفة الصغيرة ، واغلق الباب المحطم خلفه .

واخرج مسدسه من جيبه . وانتظر . وان هى الا هنيهة حتى ولج غرفة المكتب رجل . استطاع ديل ان يـرى من خصص الباب انه طويل القامة ذو شارب قصير ، اسـمر البشرة ..

ووضع القادم قبعته على المكتب . وجلس فوق المقعد ثم اشعل غليونه وراح يدخن فى هدوء .

وفجاة ، تمتم الرجل بكلام غير مفهوم . ثم انبعث واقفا على قدميه ، وتقدم من باب الغرفة الصغيرة . فتراجع ديل الى الخلف واحتجب خلف احد دواليب الملفات . وقد اعد المسدس فى يده على اهبة العمل اذا اقتضى الامر .

وفتح الرجل الباب . ثم اطل الى الداخل وهو ينطق بكلام يدل على استيائه وحنقه . فانكمش اوبين فى مخبئه .. واختلس النظر من خلف الدولاب . فراى الرجل يتلفت حواليه فى ضجر . وقد عبس وجهه .

وغادر الرجل الغرفة بعد قليل . فقد سمع وقع خطوات بالخارج ... ثم فتح باب الشقة . ونفذ الى الـداخل رجل آخـــر .

وصاح ذو الشارب الأصفر ، وهو يشير الى الباب المحطم ما معنى هذا بحق الشيطان ياونكل ؟

فضحك ونيكل ضحكة شيطانية .. واجاب : معناه اني كنت مضطرا الى مطاردة احدى قاذفات اللهب ! لكن لم كل هذا الانفعال يا دريتون . لم يحدث شيء خطير ، وقد نقلت الفتـــاة الى مكان امين .

– لكن البـــاب ...

– اوه ! انه لن يكلفك اكثر من جنيهين لاصلاحه .. دعني احدثك بالقصة منذ بدايتها ... فاني لم استـــطع ان اذكر لك كل شيء ابان حديثنا التليفوني .. لقد استدعت الآنسة آرليس سيارة ابيها بعد الساعة الثامنة بقليل ، وامرت وليام الانتظار على مقربة من ساحة برايانت .. وفي الساحـــة قابلت رجلا يرتدي ثوبا رمادي اللون ، ويضع عوينات فوق عينيه .. وتحدثا معا .. وقد تبادر الى ذهني ان الدبوس الاخضر المفقود كان مدار حديثهما . ولكن لم استطع ان التقط كلمة منه .. وكل مالاحظته انهاكانت بادية الانفعال منذ انصرافها و ..

فاسرع دريتون واتم له عبارته : وقد ارتبت في انه اعطاها الدبوس المنشـــود ..

– نعم ... وقد خطر لي ان الجا الى الحيلة . فذهبت الى السيارة .. واصدرت الى وليام التعليمات اللازمـــة ووافق على انفاذ هذه التعليمات ..

وصعدت الى السيارة ، وجلست في انتظار عودة الفتاة ورايتها تدخل حانوتا عند ناصية الميدان ؛ ولكني لم ارتب في شيء وقتذاك ، لعلمي بان النساء كثيرا ما يخترن اوقاتا غير مناسبة لابتياع حاجاتهن . وبعد هنيهة غادرت الفتـــاة

الحانوت ، والقت برسالة في صندوق البريد . فلم ارتب في ذلك ايضا ... ولكني لم البث بعد قليل ان اكتشفت .

فقاطعه دريتون بلهفة : لا احسبك تعني ..

فقال ونيكل بهدوء : مهلا .. ان كل شيء على ما يرام .. فغدا صباحا سنصبح ، انا وانت ، من اصحاب الثروات .. لاريب الآنسة آرليس قد ساورتها الريبة في شان وليام ، فقد كانت تطيل النظر اليـــه بحنق ... ومن ثم وضعت الدبوس في غلاف الرسالة التي القتها في صندوق البريد

فغمغم دريتون بحنق : انك احمق ياونيكل .

– قلت لك تمهل .. لقد اصطحبت الفتاة الى هنـــا . واستطعت ان اقنعها رغم انفها بذكر عنوان الرسالة .. وغدا صباحا ؛ عنـــدما يحين موعد توزيع اول بريد سنذهب معها ونحصـــل عليهـــا .

– وماذا كان العنوان ؟

واختلس ديل النظر من مخبئه الى وجه ونيكل . فالقاه باسما ، ترتسم عليه دلائل الزهو ..

اجاب الرجل : كان في استطاعتي ان اتكهن به حتى ولو لم تصارحني به الفتاة .. انه رقـــم ٦٩ بارك لين .. ولا عجب في ذلك فهو المكان الوحيد الذي يصلح لاستقبال مثل هذه الرسالة .

وصمت دريتون هنيهة كاتمـــا ليفكر ... ثم قال : ٦٩ بارك لين ؟ ! هذا هو المنزل الذي قتلت فيـــه ترير فيتايل .. اليس كذلك ؟

– نعم .. ولكن ليس هذا كل شيء .. اذ يبدو ان الفتاة اختارت هذا العنوان بثقة واطمئنـــان ، لان المنزل ملك

ابيها السير مالكولم اوليس وقد ظل المنزل شاغرا منـ
وقت وقعت فيـه جريمة القتـل .. وعلى ذلك فان الفـ
كانت تعتقد انها ستستطيع الذهاب اليـه قبـل موعد تو
بريد الصباح الاول وتتسلم الرسالة بنفسهـا .. تقـد
مني ان اسالها عن الاسم الذى وجهت اليه الرسالة ، ولكـ
اعتقد انه ليس بالأمر الهـام ، فكل ما يهم موزع البريد
ايصال الرسـائل الى العناوين المدونة فوقهـا

وخيل كان دريتون اقتنع بقـول زميله .. اذ ادار د
الحديث الى ناحيـة اخـرى .. قـال :
– وماذا بشأن هذا الباب المحطم ؟ !

فقال ونيكل بضجر : اوه ! الا تكف عن هذا اللغـز !
لقد استطاعت الفتاة ان تسجنني فى الغرفة الصـغـ
اثناء انهماكي فى البحث عن شيء معين وارادت الاتصـ
ببعض اصدقائها فى طلب النجدة فاضطرت الى تحطيم البـ
قبل ان تتمكن من التحدث الى من ارادت الاتصـال به

فانتفض دريتـون . وسـال بلهفـة : ومنذ الذى اتصل
به ؟

ـ لا أعلم .. ولكن لا اظنها استطاعت ان تنطق بأكـ
من كلمتين اثنتين .

فقطب دريتون حاجبيـه ، وقال : لنفرض ان الشخـ
الذى اتصلت به استطاع ان يتعقب مصدر المكالمة ..

ـ لا اظن ذلك يا دريتون .. انني لست متاكدا من الـ
اتصلت به فعـلا .. ولقد نقلت الفتاة من هنـا من
الحذر والحيطـة

– والى اين ذهبت بهـا ؟
فقال ونيكل ، وهو يضج بالضحك :

– الى المنزل رقم ٦٩ بارك لين .. انها ان تستطيع ان
تحرك ساكنا قبـل ان نبت فى امرها .. بالطبع .. لم يكن
فى استطاعتى ان اطلق سراحها قبـل ان تحصل على
الدبوس الاخضر .. وقد خيل الى ان هذا المنزل الخالى
خير مكان يصلح لسجنها حتى ينتهى كل شيء .. واكبر ظني
انها لم تكذب عندما قالت لي ان هـذا هو العنوان الذى
بعثت اليه بالدبوس – فقـد كانت فى حالة لا تسمح لهـا
بالكذب .. وعلى فرض انها قد كذبت ، فسأتمكن من ارغامها
على ذكر الحقيقة صباح غد
فأومأ دريتون برأسـه مفكرا .. وسكت ..

وادرك ديل انه ظفر باكبر قسط من المعلومات .. فبرز
من مكمنه بهدوء .. واقترب من باب الغرفة المفتـوح ..
ووقف خلفـه .. واستطاع ان يرى ابتسامة خبيثة ترتسم
على شفتي دريتون . ثم سمعه يسـال ونيكل :
– وكيف استطعت دخول المنزل رقم ٦٩ بارك لين ؟

– بطريقة مشروعة لا غبـار عليها . تركت الفتـاة فى
منزلى موثوقة اليدين والقدمين . ثم ذهبت لمقابلة السير
مالكوم آرليس فى منزله . وحصلت على المفتـاح منه .
كان يكفى ان اشير من طرف خفى الى السبب الذى اريده
من اجله . ومن ثم قدمه لى من فوره . انه رجل عجيب
يا عزيزى !!

جمد ديل فى مكانه .. فقـد كانت عبـارة ونيكل الاخيرة
غامضة كل الغموض .. ولكنها تشير الى ان للسـير مالكولم

ارليس ضلعا في المؤامرة . وتذكر في تلك اللحظة قول فيرا ان اباها يقلب السماء والارض بحثا عن الدبوس المفقود .. ولكنها لم تذكر له انه يعمل ضدها .. ومن ثم ايقن ان هناك اختلافا في وجهات النظر بين الاب وابنته .. وخيل اليه انه من المحتمل ان يكون السير ارليس قد استخدم دربنون القضاء على كل محاولة تقوم بها ابنته للحصول على الدبوس ..

وسمع ذيل دربنون يقول مجيبا على قول ونيكل

- نعم . ان ارليس شخص غريب الاطوار . انه لا يدخر وسعا في استعادة الدبوس ، حتى لقد وعدني بدفع الف جنيه زيادة على اتعابنا المحدودة على سبيل المكافأة ان استطعنا الحصول عليه . ومع ذلك فانا اجهل لماذا يبحث عن شيء تافه لا قيمة له بمثل هذه اللهفة . فقد آثر الصمت المطبق من هذه الناحية ، ورفض ان يحدثني بشيء ..

فقال ونيكل بهدوء ، وخبث : ولماذا تقلق ؟ ! لقد كانت اعمالنا راكدة في الفترة الاخيرة . وعما قريب نظفر بمبلغ كبير في مقابل مجهود ضئيل .. لكن خبرني يا دربنون . لماذا عهد الينا آرليس بالبحث عن الدبوس المفقود مع انه يعلم سوء سمعة مؤسستنا ؟ !

فضحك دربنون ضحكة غريبة : لقد عهد الينا بهذه المهمة يا بني لأنه يرغب في الاستعانة بكل الوسائل ، حتى غير المشروعة ، لاستعادة دبوسه . ثم انه يعلم اننا في حالة مالية سيئة ، واننا سنضطر الى اطاعة الاداء بدون القاء اسئلة .

فلزم ونيكل الصمت بضع لحظات . واستطاع اوبين ان يرى على وجهه سمات الدهاء ، والخبث

قال ونيكل بعد هنيهة : نعم . لكن يخيل الى ان آرليس قد ارتكب . او يحاول ان يرتكب ، امرا غير مشروع . وهذا الامر محوط بالالغاز والغموض . ومثل هذا الشخص يمكن ان يرغم على البذل بسخاء في مقابل وعد منا بكتمان السر !

فاطال دربنون النظر الى وجه زميله .. وهتف : هل تعني .. ؟

فقال ونيكل بهدوء : ان آرليس رجل ثري . بل مليونير . وصحيح ان الف جنيه مبلغ لا يستهان به ، ولكن خمسين الفا يعد ثروة . ما رايك في أن نعرض عليه تسليم الدبوس في مقابل خمسين الفا من الجنيهات ؟ !

ففغر دربنون فاه دهشة . وحدق في وجه ونيكل مشدوها . ولكنه ما لبث ان ابتسم بخبث .

وقال : هذا الالهام مدهش ولا ريب يا ونيكل . سأحاول ان ارغم السير آرليس على قبول شروطنا . فاذا قبل ، رفعنا المبلغ خمسين الفا اخرى . فاذا رفض ان يدفع الا طبقا لاتفاقنا الاول فقد ربحنا الف جنيه على كل حال ، وان قبل كل بها . ان شيئا لا يحيرني مثلما تحيرني ابنته فيرا . فقد تستطيع هذه اللعينة أن تفسد علينا تدبيرنا .

فبدا على وجه ونيكل كان نفس الخاطر جال بذهنه . واخذ يدور في ارجاء الغرفة ، مطرق الرأس .. ولكنه ما لبث ان وقف فجأة امام شريكه .. وقال بصوت عميق :

- دعهما لى .. فلن يعجزنى حملهما على التخلى عن مضايقتنا

وانتفض ديل فى مخبئه .. وادرك ان معنى كلمات ونيكل المستترة .. ومن ثم عول على التدخل فوراً .. وكان قد عثر على لفافة من الرباط المتين وهو يتحسس طريقه خلف دولاب الملفات فى الظلام .. فالتقطها .. ثم ولج غرفة المكتب بهدوء .. وقال وهو يسدد مسدسه الى الرجلين :

- ليس من العقل ايها السيدان ان يحصى المرء صغار الدجاج قبل ان يفقس البيض .. ارجو ان تتكرما برفع ايديكما فى الهواء . !

- ٨ -

وثب المتآمران واقفين على اقدامهما ، وحدقا فى وجه ديل ، كما لو كانا يريان شبحا بغيضا .. وفر لون ونيكل .. اما دربنون ، فحاول ان يخرج مسدسه من جيبه ، وعندئذ اطلق ديل النار على يده ، فاصابه المقذوف فى اصبعه ، فصرخ من الألم ، ورفع يديه فوق راسه .. فاضطر ونيكل ان يحذو حذوه

وقذف لوبين بلفة الرباط عند قدمى ونيكل .. وقال بلهجة صارمة : خذ هذه اللفافة . وشد وثاق زميلك ..
ولكن حذار من التهاون والا فالويل لك .. سامنحك دقيقتين لاتمام هذه المهمة .

فتردد الشاب .. ولكنه ما كاد يرى علامات العزم والتصميم المرتسمة على وجه ديل ، حتى هز كتفيه فى

استسلام ، والتقط الرباط .. وشرع يوثق قدمى شريكه . ثم معصميه .. فى حين خلع ديل ساعته اليدوية ، ووضعها فوق المكتب ... وكان يراقب ونيكل عن كثب ، وينظر الى ساعته بين الفينة والفينة

وحاول دربنون ان يقاوم فى البداية .. ولكنه ادرك عقم المحاولة ، فاستسلم صاغرا .

وفرغ ونيكل من مهمته فى نهاية المهلة المضروبة .. وعندئذ امره ديل بان يتمدد فوق الارض ثم شد وثاقه بيده .. وتحول الى دربنون وتاكد من متانة رباط قدميه .. ومع ان الرباط كان رفيعا الا ان اية حركة من الرجلين .. كانت تكفى لأن ينفرس الحبل فى لحمهما

ثم نهض واقفا .. والتقط ساعته من فوق المكتب .. ثم قال وهو يتهيا للانصراف : بمكنكما ان تستانفا حديثكما الذى انقطع بظهورى .. ولكن يؤسفنى كثيرا ان اقول لكما ان نقود السير مالكولم التى كنتما تحلمان بها قد طارت من ايديكما ..

ثم وضع المسدس فى جيبه .. وهرع الى الخارج .. وما كاد يبلغ الشارع حتى دقت ساعة بعيدة النصف بعد الثانية صباحا .

وانطلق لوبين يبحث عن سيارة تاكسى .. واستطاع بعد لأى ان يعثر على واحدة .. فامر السائق بالذهاب به الى اقرب ميدان من بارك لين ثم صرف السيارة .. ومضى الى المنزل رقم ٦٩ سيرا على قدميه .

وكان الجو شديد الرطوبة .. والسحب متكاثفة سوداء

تنذر بهطول مطر غزير .. فجد لوبين في السير حتى بلغ المنزل المنشود .. وكان منزلا صغيرا وسط قصور باذخة .. مكونا من ثلاث طبقات أنشئت على الطراز الحديث .

والنوافذ مرفوعة الى اعلا . فتذكر لوبين قول ونيكل من أن المنزل خال من السكان منذ قتلت تريز فينايل . توقف برهة يقلب البصر حوله .. ثم صعد الدرج الامامى الموصل الى الباب العام .. ولكنه ما لبث ان تأكد انه مغلق ، كما تبين ان فتحه سيستغرق وقتا طويلا . فضلا عن انه قد يتعذر فتحه نظرا لسمك القفل . فعدل عن دخول المنزل من بابه . وهبط الدرج . ودار حوله . وبعد قليل من البحث عثر على قضيب صغير من الحديد علاه الصدا ، فحمله معه الى النافذة المجاورة للباب الرئيسي وادخله بين شقيها . ثم ضغط عليه بقوته ، فانفتحت النافذة .

ووثب الى الداخل . ثم اغلق النافذة خلفه ، ولكنه لم يوصدها خشية الطوارىء .. فقد كانت تلك أول مرة يتسلل فيها الى منزل غيره وهو بشخصية مارتن ديل .

وكان الهواء راكدا بالردهة . يبعث الانقباض الى النفس .. فانطلق يتحسس طريقه في الظلام حتى استطاع ان يصل الى الدرج الموصل الى الجزء العلوى من المنزل .

وفجاة .. جمد في مكانه .. خيل اليه انه ليس وحده في الظلام .. سمع صوتا شديد الخفوت .. صوت تنفس رجل على مقربة . فارهف اذنيه .. وراح يحدق في الظلام محاولا ان يخترق حجبه لم ويتبين مصدر الصوت .. ولكنه

لم يستطع .. فقد كان السكون مستتبا . ومع ذلك كان يشعر بأن شخصا يقف على كثب منه ، وهو يحدق في وجهه .

حبس انفاسه .. وراح يتساءل عن محدث ذلك الصوت الخافت ، عن ذلك الشخص الذى يحدق في وجهه بتلك النظرات النفاذة التى يشعر بوطأتها ولا يراها .. انه ليس فيرا بغير شك . فان ونيكل قد سجن الفتاة في احدى الغرف . او اتخذ من ضروب الحيطة ما يجعلها عاجزة عن الحركة والتجول في المنزل والا لاستطاعت أن تهرب بواسطة احدى النوافذ

وفجأة اجفل .. اذ سمع شخصا يحادثه همسا .. فكان للصوت الخافت . والظلام الدامس المحيط به أثرهما في اعصابه .. ولم يستطع ان يميز الكلمات بادىء الامر .. واصاخ السمع في انتظار ان يعيد المتكلم همسه . وبعد طول انتظار .. امكنه ان يسمع هاتين الكلمتين : من هناك ؟

لم يجبه لوبين في الحال .. فقد ادرك أن الصوت صوت رجل واستطاع ان يقدر المسافة بينه وبين محدثه بستة اقدام .. وقبل ان يجد من الوقت متسعا للتفكير فيما ينبغى ان يفعله .. استطرد الصوت :

— ماذا تفعل هنا ؟ !

وخيل اليه ان لهجة الرجل يشوبها الذعر .. فلم يجب .. اذ لم يكن يتفق مع خطته ان يكشف عن شخصيته في تلك اللحظة .

ومرت اللحظات ثقالا .. وراح لوبين يحدق في اتجاه

الصوت . وانتظر عبثا ان يعاود المجهول حديثه . وخيل اليه بعد لحظات كأن الرجل قد تبخر ، واختفى من الوجود .. وتقدم الى الامام بضع خطوات وهو يتحسس طريقه في الظلام .. باسطا ذراعيه امامه . لعله يقبض على هذا الشخص . ولكنه لم يجد له اثرا .. فقد اختفى بهدوء كما ظهر .

ولم يشأ ديل ان يبادر بالعمل . فقد خطر له انه من سوء التقدير أن يشعل ضوءا ، وفي الدار رجل غريب مجهول منه . خصوصا وأن فيرا سجينة في احدى الغرف . وقد يفزعها ان تسمع عراكا ، او نقاشا حادا في المنزل . او ان يدخل الغريب الغرفة التى سجنها فيها ونيكل بها .

وبعد انتظار دام عدة دقائق .. وراح يتحسس الجدار بيده لعله يعثر على مفتاح النور .. ولكن يده اصطدمت بمقبض باب .. فتهيأ لفتحه .. ولكنه ما لبث ان سمع صرخة مروعة صادرة من احد اجزاء المنزل .. وتكررت الصرخة ثلاث مرات .. واعقبتها آنة عميقة .. ثم ساد الصمت

وانتفض ديل .. وجمد الدم في عروقه .. فقد كان للصرخة وقع اليم في نفسه اكثر من كل ما مر به من اهوال منذ بداية المغامرة

وهتف من بين اسنانه المصطكة : يا للسماء ! ارجو الا تكون هي

وتمالك جاشه .. وضغط مفتاح النور .. فغمر الضوء الغرفة

نظر حوله .. فرأى الغرفة عارية من كل اثاث .. فاندفع الى الردهة .. وارتقى الدرج وثباً ، فقد كان موقناً ان الصرخة صدرت من اعلا

وكان الظلام دامساً . ولم يستطع ان يتمهل ريثما يبحث عن مفتاح النور .. وركض متعثراً في الدهليز .. وكان يقف بين الفينة والفينة .. ويصيخ السمع .. وخيل اليه انه يسمع انيناً خافتاً صادراً من نهاية الدهليز . فسار تجاهها .. حتى بلغ باباً على اليسار .. فدفعه بهدوء .. وفي التو انقلب الانين الى صراخ مروع .

فهتف برفق ، محاولا ان يجعل صوته يبدو هادئاً : لا تخافي يا آنسة آرليس ! انا ديل .. مارتن ديل !!
فزفرت الفتاة حرى .. وهتفت : أواه !

وبحث عن مفتاح النور حتى عثر عليه .. فضغطه .. وما لبث ان رأى فيرا منكمشة في احد اركان الغرفة .. وكانت عيناها تفصحان عن ابلغ معاني الفزع .. بينما تهدلت خصلات من شعرها الاسود الناعم فوق وجهها المصفر .. فهرع ديل اليها .. وخلصها من القيد الذي يشد قدميها وساقيها

واسندت الفتاة رأسها الى الجدار باعياء .. ونظرت اليه نظرة ضارعة مشوبة بالرعب .. وما لبث الذعر ان اخذ يتلاشى من نظرتها .. وقالت وهي تنتفض : أكنت انت الذي لمستني يا مستر ديل ؟

ـ كلا .. لم يمض على وجودي في المنزل اكثر من دقائق معدودات . وقد سمعت صراخك فاسرعت الى نجدتك .. فماذا حدث ؟

فانتفضت الفتاة مرة اخرى .. وارتسمت على شفتيها ظل ابتسامة .. ثم اجابت : انه الظلام الذي افزعني اكثر من اي شيء آخر .. فتح الباب فجأة ودخل الى الغرفة رجل لم استطع ان اميز ملامحه .. وتقدم مني في هدوء تام .. حتى لقد شعرت بوجوده ، اكثر من سماعي حركاته .. فلما لمس وجهي بيده ، صرخت .. كانت يده باردة كالثلج ، كأيدي الاشباح سواء بسواء .. فلما سمعني اصرخ صراخاً متعاقباً ، بادر بالفرار .. ولعله خشي مغبة عمله .. يؤسفني كثيراً ان ازعجتك يا مستر ديل
فقال مطمئناً : كلا . كلا .. لقد كان موقفك دقيقاً . ولم يكن هناك سبيل للتصرف غير ما فعلت . ولا شك انك كنت مضطرة الى الاستنجاد ، فان الاهوال التي تعرضت لها تكفي لان تؤثر في اعصاب اشجع القلوب .. ولست اتهمك انني اضطربت وفزعت عندما سمعت صراخك .. لكن اخبريني ، هل حدثك ذلك الرجل الغامض بشيء ؟

ـ كلا .. انه فقط وقف في اقصى الغرفة . وحملق في وجهي طويلا . اعني انني ظننت انه كان يحدق في وجهي .. وشعرت بذلك شعوراً قوياً . ثم لمسني بيده . ولكني لم استطع ان ارى شيئاً بالطبع لشدة الظلام . لكن كيف جئت الى هنا يا مستر ديل ؟

فلم يجد ديل مفراً من مصارحتها ببعض ما وقف عليه . وذلك ليطمئنها . فقال لها ان خادمه انبأه بأمر المحادثة التليفونية ، واستطاع ان يعرف مصدرها بسؤال عاملة التليفون . ثم اعاد على مسامعها الحديث الذي دار بين درينون ونيكل . فغمغمت بضجر : ان ونيكل شيطان مريد ، ولكنه مع ذلك مغفل كبير . فقد استطعت ان اقرأ به على مرأى

منه وبعثت بالرسالة الى احدى صديقاتى فى ومبلدون . واسمها ....

فصاح ديل يقاطعها وهو يتلفت حوله : صه !! فان للجدران آذانا . ومن الخير الا ننطق هنا باسماء .. هل تستطيعين ان تثقى بصديقتك هذه ؟

– كل الثقة .. ولكنها ستفاجأ مفاجأة شديدة عندما تجد الدبوس بداخل الغلاف ولا رسالة معه تبين اسم مرسله .

– هذا صحيح . اذن ان تتصل بها تليفونيا بعد انصرافنا من هنا . انك اذن قد استطعت ان تضللى وتركل كل التضليل . لكن لماذا اخترت عنوان هذا المنزل بالذات عندما طالبك باطلاعه على العنوان الذى بعثت اليه بالدبوس ؟

فقالت الفتاة مفكرة : لا اعلم . كنت فى حالة شديدة من الذعر حتى لقد تعذر على التفكير . ولما كنت افهم انه لا مفر من الاجابة . فقد خطر لى ان اذكر له عنوانا حقيقيا .. ولكنى بعد ذلك تذكرت ان العنوان هو عنوان منزل تريز فينابل التى قتلت منذ عدة شهور .

– اظن ان اباك صاحب هذا المنزل ؟

– نعم . ولو انى لا اعرف الشيء الكثير عن املاك ابى .. ولكنى اعرف انه ابتاع هذا المنزل منذ بضعة اعوام . اما لماذا استقر عنوانه فى ذهنى فلان جريمة قتل وقعت فيه .

فقال ديل وهو يساعدها فى الوقوف على قدميها :

– اظن انك احسن حالا الآن يا آنسة آرليس . ان قراءة الصحف تضجرنى كثيرا . ولذا فاننى قلما اطالع رؤوس الموضوعات . وفوق ذلك . فالجرائم من الاشياء البغيضة

الى النفس . وانا رجل يتجنب كل شيء يعكر صفو هدوئه ولذا فان اسم تريز فينابل لا يعنى شيئا بالنسبة الى اكثر من انه اسم عادى . هل تسمحين لى بمرافقتك الى منزلك ؟

فابتسمت الفتاة .. وقالت : اسمح لك ؟ ! عجبا لك يا مستر ديل . الا ترى اننى مدينة لك بالنجاة من هذا المنزل الجهنمى ! لقد برهنت يا سيدى على انك رجل يمكن الاعتماد عليه وقت الشدائد !

– شكرا لك ! اتقولين ذلك وانت ترتابين .

– ان كلمة (الريبة) لا تكفى .. فانى اعلم يقينا انك اوسين لوبين لقد تكهنت بهذا فى حفلة مستر ترافيز .. ولكن الشك مالبث ان انقلب يقينا عندما تقابلنا معا فى ساحة برايانت منذ بضع ساعات .. كان ينبغى ان اخشى باسك ! ولكنى مع ذلك اشعر بالاطمئنان التام من ناحيتك فضلا عن انك اديت لى خدمة جليلة لا يمكن ان انساها .

فانحنى لها .. وقال : اذا كنت تشعرين بقدرة على السير ، فهلمى بنا .

فابتسمت له .. وقالت : انك ككل رجل مهذب تكره الشكر . ولكن لا يسعنى ان اغمطك ما ابديت من مروءة وشهامة بيد اننى لا اشعر بالرغبة فى العودة الى المنزل فى التو .. فانى شديدة اللهفة على معرفة ذلك الشخص الغامض الذى كان يتجول فى انحاء الدار منذ قليل . الا ترى ان نبحث عنه فى الغرف ؟

ولم يكن ديل اقل لهفة منها فى اكتشاف هذا السر الغامض .. فقال باهتمام : بكل سرور .

وما كادا يخرجان الى الدهليز ، حتى خيل اليه انه يشعر بشبح يتحرك فى الظلام .. وفتحا عدة ابواب واضاءا انوار الغرف ، ولكنهما لم يجدا فيها مخلوقا بشريا

وعندما ولجا باب قصى غرفة عند نهاية الدهليز من الناحية الأخرى .. ضغطت الفتاة ذراع ديل برفق .. وقالت :
– لقد قتلت تريز فينابل فى هذه الغرفة .

فالقى ديل نظرة شاملة على الغرفة . وكانت كبقية غرف المنزل ، عارية عن الأثاث ..
وقال : حدثينى بأمر هذه المرأة التعسة يا آنسة .

وكانت الفتاة قد استردت هدوءها فى تلك الاثناء وبدا عليها الجد والرزانة ، كأنما أثر رأى مسرح الجريمة فى نفسها تأثيرا شديدا . فعبست وبدا عليها الوجوم . وأنشأت تقول :

– كانت الآنسة فينابل فتاة تعسة .. ولكنها كانت بارعة الجمال . ومع أنها لم تكن صغيرة السن الا ان جمالها لم يفارقها الى يوم مماتها . ومنذ سنوات بعيدة أحبت فنانا قديرا . ولكن حبهما انتهى بمأساة مروعة .

وهنا تألقت عينا ديل وقاطعها متسائلا : أهو الرجل الذى تحت الدبوس الأخضر ؟

– نعم .. ولكن يبدو أنه بقدر ما كان عبقريا فى فنه ، كان وغدا لا ضمير له .. اذ سرعان ما تنكر لها . وكان حب الفتاة لهذا الخائن جارفا ملتهبا كشعلة متأججة .. فاصمى كبدها هجرانه لها . وظلت تتعذب طيلة حياتها . وتبكى ذلك الحب الضائع ومع أنها كانت رقيقة الطباع الا ان هذه الصدمة هدمت حياتها فمات شعورها ولازمها العبوس .. واقسمت ان تقف حياتها على الثأر لنفسها فانقلبت تحطم القلوب وتهدم الهناء العائلى . ولكنها دفعت حياتها ثمنا لا ثمها .

كانت تخشى الموت .. وقد قضت السنوات الأخيرة فى حالة من الفزع وعدم الاستقرار . فقد ظلت اشباح ضحاياها تطاردها اينما حلت . وتسيطر على عقلها فكرة واحدة كانت تقض مضجعها .. وهى انها ستذهب فريسة احد عشاقها الذين حطمت قلوبهم . وحياتهم ..
وقد تحققت مخاوفها ذات ليلة منذ حوالى ثلاثة شهور .

فسألها لوبين : وكيف وقعت الجريمة ؟
– ليس ثم من يعرف على وجه التدقيق .. كانت قد عادت حديثا من سياحة فى خارج البلاد حيث قضت الشتاء والربيع . واقامت مأدبة عشاء فى الليلة التالية لليلة وصولها .. ولا ابالغ ان قلت لك انها كانت من اروع واجمل المآدب التى شاهدتها لندن منذ شهور . فقد حدثتنى احدى صديقاتى ممن حضرتها ، ان الآنسة تريز لم تبخل بمال . وانفقت على هذه المأدبة بسخاء ولكن المدعوين لاحظوا انها كانت تبدو حزينة منقبضة النفس . وكأنما زادتها الرحلة هما على هم .. وفى صباح اليوم التالى عثرت عليها وصيفتها مقتولة فى هذا الركن ...

واشارت فيرا الى احد أركان الغرفة .. واستطردت : كانت مصابة بطعنة فى قلبها . جثة هامدة .. وبوسعك ان ترى آثار دمائها فوق الأرض .

فتقدم ديل من الركن الذى اشارت اليه الفتاة .. وظل بضع لحظات يتأمل آثار بقع الدم التى كانت تلوث الأرض وما لبث ان ركع أمام البقع ، وتأملها بامعان .. ثم هز رأسه وغمغم :
– هذا أمر عجيب ..

وجرى باصابعه فوق البقع .. وعندئذ سألته الفتاة باهتمام : ماذا ترى ؟

فعرض اصابعه للضوء .. واجاب : لقد حاول احد الأشخاص ازالة بقع الدماء حديثا . فما زال سطح الارض مبتلا .. من تظنين .. ؟

وحدق في وجه الفتاة . فقالت : لعله ذلك الرجل الغامض الذى كان يرتاد المنزل منذ بضع دقائق .

فقال ديل وهو ينهض واقفا : .

ـ لا ريب فى ذلك ..

وتقدم من الباب ، وتطلع فى الدهليز المعتم .. ثم ما لبث ان عاد الى بقع الدم .. وقال :

ـ لكن ما الذى كان يرجوه من ازالة البقع وقد انقضى على وقوع الجريمة زمن طويل ؟ الحق انى لا استطيع تعليل ذلك .. ربما كانت الجريمة قد اثرت على اعصابه اذ كثيرا ما يدفع ضمير المجرم صاحبه على اتيان كثير من الأعمال الغريبة .. على فكرة . هل عثر البوليس على اية ادلة ترشده الى القاتل ؟

ـ كلا .. او لعله عثر على شيء .. ولكنه لم يذعه على الجمهور .. فقد سمعت ان البوليس كثيرا ما يحتفظ ببعض الأدلة التى يعثر عليها طى الكتمان كيلا ينتبه المجرم الى وجودها فى حوزته .. وقد قيل لى ان شيئا من ذلك حدث فى هذه القضية ..

فانتفض ديل . وهتف : آه ! اهو الدبوس الأخضر ؟

فقالت الفتاة بصوت هامس : أجل . لقد اعتادت الآنسة ان تتحلى به بصفة مستديمة .. اما كدوس او كسوار . فانه من ذلك النوع الذى يمكن ان يرتدى بهاتين الصفتين .

فقال ديل باسما : لقد اكتشفت هذه الحقيقة عندما كان الدبوس في حوزتي
— وعندما عثرت الوصيفة على جثة سيدتها في صباح اليوم التالي لم يعثر البوليس على هذا الدبوس ولكنه لم يشر اليه . كما لم يعرف بأمر فقده غير اشخاص يعدون على الاصابع . ولما كان ماثورا عن الآنسة تريز انها تحمل الدبوس ليلا ونهارا . فقد ايقن محققوا القضية ان القاتل لا شك قد استولى عليه عقب ارتكاب الجريمة .. واحتفظ به .. ومنذ ذلك الحين وهم ينقبون الأرض بحثا عنه ، على اعتبار انه مفتاح القضية ..

فقطب ديل حاجبيه . وقال : هذا ما سمعت . فقد جعلني صديقي المفتش سمرز اعتقد انه سيقبض على الشخص الذي يكون الدبوس في حوزته . ولكن طالما ان ملكية الدبوس قد انتقلت الى عدة اشخاص منذ وقوع الجريمة . فلست ارى كيف تكون الملكية والحال هذه دليلا على الاجرام .

فقالت الفتاة بلهجة صادقة : انى اتفق معك في هذا الرأى .. وهناك عدة اشياء مازلت اجهلها عن هذا الدبوس وكل ما عرفت عنه كان بمحض الصدفة .

فجرى ديل بيده فوق جبهته . ونظر الى الفتاة بارتياب ولكنه كتم السؤال الذي كان يدور برأسه . فقالت فيرا بصوت اجش : انني استطيع ان احدس مايدور بخلدك . لقد انقذتني من محنة ، فليس هناك اذن ما يحملني على عدم الثقة بك . لذلك اقول لو ان الدبوس وقع في ايدي قوم معينين ، فانه سيدين شخصا عزيزا جدا علي !

فغمغم ديل بهدوء : ان هذا الشخص يستحق التهنئة ولا ريب . واني على استعداد لأن اراهن على براءته من

الجريمة مثلى تماما . فان عينين مثل عينيك لا تخدعان بسهولة يا آنسة آرليس ..

فابتسمت له ابتسامة عذبة .. ولكن ديل لم يفطن اليها فقد خيل اليه كانما يسمع صوتا خافتا صادرا من عند باب الدار الخارجي .

وعاد بعد هنيهة يسألها : وما اسم هذا الرجل السعيد ؟

— ويستكوت ترين .

فسجل ديل الاسم في ذاكرته . ثم حول اهتمامه نحو الاصغاء الى صوت الباب ، وهو يفتح ثم يغلق . وفي التو تقدم من الجدار . واطفأ النور . فسبحت الغرفة في الظلام .. وقبل ان تتمكن الفتاة من سؤاله عن معنى ذلك كان قد تأبط ذراعيها . وخرج بها الى الدهليز ..

فسألته الفتاة هامسة : ماذا حدث ؟

فهمس بدوره : لا تخافي . اكبر الظن ان شخصا دخل الى المنزل منذ لحظات . ستخرج الآن من بابه الخلفي . فكفاك ما قاسيت من اهوال هذه الليلة .

وراحا يهبطان الدرج فوق اطراف اصابعهما . وكان ديل متحفزا للهجوم في اية لحظة . وسمعا اصواتا خافتة صادرة من الطابق الأسفل . ووقع اقدام تتحرك بحذر . فصح عزم لوبين على الا يعرض الفتاة لأى خطر .. وقرر ان يخرجها من النافذة التي دخل منها .. فان تعذر ذلك فمن باب المطبخ ..

وكانا قد بلغا اسفل الدرج في تلك الآونة . فراح ديل يتحرك تبعا للغريزة . وهو يجذب الفتاة خلفه ولكنه مالبث ان توقف في سيره . فقد حذرته حواسه المرهفة من خطر داهم يتهددهما . ولم تنقض لحظات حتى وقع هذا الخطر .

غمر الضوء المكان بغتة ، ورأى ديل امامه مسدسين مسددين نحوه والفتاة .

- ٩ -

ألقى ديل بصره على وجهي الرجلين اللذين يحملان المسدسين .. ثم تقدم في حركة سريعة .. ووقف امام الفتاة .

كان الرجلان دربنون ونيكل .. فدله ذلك على انهما استطاعا التخلص من قيودهما بوسيلة ما ، وسارعا بالقدوم الى المنزل ليثأرا منه .

وكانت نظرة واحدة الى وجهي الرجلين المكفهرين كافية لان تؤكد له ان المعركة بينه وبينهما ستكون حامية الوطيس لا رحمة فيها ولا هوادة .

قال دربنون بسخرية : اظن انك لم تكن تتوقع رؤيتنا بمثل هذه السرعة ؟ أراهن على انك تأسف الآن لانك لم تقيدنا بقيود حديدية !

وضحك ضحكة شيطانية . واستطرد : اني اعرف كل شيء عنك . انا احد اسميك مارتن ديل . واما الاسم الثاني فارسين لوبين . هل افزعتك ؟

وعلى الرغم من ثقة ديل من ان الرجل كان يخمن الا انه اجفل قليلا . ولكنه تمالك جاشه بسرعة . ونظر الى دربنون نظرة احتقار شديدة .

ثم قال : ان لك خيالا خصبا يامستر دربنون ، اذا كنت واثقا مما تقول فلماذا لا تسلمني الى البوليس ؟ ان القبض على ارسين لوبين حلم يتمناه كل امرىء في المملكة . ولا

ريب انه عمل عظيم كفيل بان يرفعك الى السماكين . ويدر عليك مالا اكثر مما كنت تأمل ان تبتزه من السير مالكولم آرلي .

كان يرمي الى اكتساب الوقت .. وتلفت حواليه خلسة فرأى بابا على اليسار ، وعندئذ همس في اذن الفتاة .. وهما يقتربان من الباب ببطء غير ملحوظ ..

ومع انه كان لايزال يحتفظ بمسدسه ومسدس المفتش سمرز ، الا انه كان عاجزا عن استعمال احدهما في هذه اللحظة العصيبة .

وتبادل دربنون ونيكل حديثا هامسا . وبادر ديل من هيئتهما انهما كانا يتشاوران في اى السبل يسلكان ... فانتهز وفيرا الفرصة وراحا يتحركان ببطء صوب الباب .

وهمس : اركضي بكل قوتك الى الغرفة عندما آمرك . واما انا فسأصفي حسابي مع هذين الوغدين . فاذا خرجت من المنزل ، فعليك باقرب تليفون واتصلي بالمفتش سمرز ، واطلبي اليه ان يأتي الى هنا فورا .. قولي له ان مارتن ديل يريد مقابلته ليتحدث اليه عن دربنون ونيكل .

فأومأت الفتاة برأسها دلالة على الفهم . وظلا يتحركان صوب الباب حتى لم يبق بينهما غير اقدام قلائل .. وكان لوبين يحافظ على البقاء الفتاة خلفه طول الوقت .

وفرغ دربنون ونيكل من حديثهما اخيرا .. وبدا كأنهما اتفقا على رأى .. اذ ما لبث ان تقدم دربنون الى الامام وهو يصعد ديل ببصره ، ويحدجه بنظرة وعيد صارمة .

وكان درينون يقبض على مسدسه كما لو كان يعتزم لطمه به ، لا اطلاق النار عليه .. فادرك لوبين ان الرجلين اعتزما التخلص منه اولا . وبذلك تصبح الفتــاة تحت رحمتهما ..

وتحفز للعمل .. ولكنه كان محتفظا بهدوئه التام .. ونظر الى درينون بغير اكتراث . ثم نظر الى البــاب من ركن عينه فلما ادرك انهما اصبحا على مقربة منــه .. حول راسه قليلا .. وهمس : اذهبى !!

فتحولت الفتاة . وركضت الى الغرفة .
وفى اللحظة عينها اطم درينون ديل بمسدسه فوق راسه فترنح ديل الى الوراء وكاد يسقط .. ولكنه بذل جهـدا جبارا حتى استطـــاع ان يحتفظ بتوازنه ... وسبحت المرئيات امام عينيه ولكنه راى منظرا جعله ينتفض جزعا

كان ونيكل يراقب فيرا عن كثب . فلما تحولت لتهرب انقض عليها . وامسكها من معصمها بعنف . ثم طرحهـــا ارضا بقسوة ووحشية .

ورفع درينــون يده ليكرر لطم لوبين . ولكن هذا كان قد ادرك فداحة الخطر الذى تعرضت له الفتاة . فدبت الحياة فى جسده فجاة . ومد يده يتقى بها اللطمة . ثم هوى بقبضته الاخرى فوق فك درينون . فصرخ صرخة تدل على الغضب . وتراجع الى الوراء وهو ينظر الى غريمه نظرة بغض هائلة .. ثم اطلق النار . فأصــاب المقذوف كتف ديل .

واحس هذا بالم لا يطاق فى كتفه .. وتبلبت حواسه واستطاع قبل ان يسقط فوق الارض . ان يرى ونيــكل

وهو ينقض على فيرا . ويقبض على عنقها . فشــعر بقوة جبارة تحفزه على الانقضاض على الرجل وسحق جمجمته ولكنه راى درينون يسدد مسدسه اليه .. وادرك انه لو اتى باية حركة . فسيطلق النار عليه لا محالة . وانمـا لم يكن يريد ان يترك الفتاة ولا حول لهـا ولا قوة بين براثن هذين الوحشين فقد آثر التريث والانتظار .

صاح درينون بونيكل : تخلص منها مؤقتا حتى نضـع حدا لهذا الأفاق اللعين . لا تتحرك ياديل . فان اقل حركة معناها الموت المحقق .
وهنا ثارت ثائرته . فانقض عليه غير عابىء بوعيـده .. واطلق درينــون النار . ولكنه اخطا مهاجمـه . وارتطم المقذوف بالجدار ..
والمرة الثانية . جذب درينون زناد المسدس . وللمـرة الثانية ايضا طاشت الرصاصة . وفى اللحظة ذاتها .. القى لوبين بنفسه فوقه فاسقطه على الأرض وسقط فوقه ونشب بينهما عراك حاد .. وعلى الرغم من الألم الممض الذى كان يشعر به فى كتفه الا انه لم يابه لعلمه بان المعركة حياة أو موت .
ومن خلال سحب الدخان البيضاء التى كانت تمــلا الغرفة ، استطاع ان يلمح وجه الفتاة المصفر .
وحاول درينون ان يقف على قدميه ولكن لوبين عاجله بلكمة قذفت به الى الارض ، وهو مشتت الحواس .

وفى نفس اللحظة .. اخرج لوبين مسدسه من جيبه . وامسكه من ماسورته . ثم لطم به ونيكل فوق راســه لطمـة حسمت الموقف .

وانتفض الصعداء .. كان يشعر بضعف شديد لكثرة ما نزف من دمه ، وكان الألم لا يطاق .. ولكنه تحامل على نفسه ، ومد للفتاة يده ، وعاونها على النهوض .

وعندئذ سمع صوتا خافتا صادرا من ناحية الباب اعقبه صوت آخر صادرا من الجدار المقابل للباب . فاستدار على عقبيه على عجل .. وما لبث ان نظر الى الجدار مشدوها لا يصدق عينيه ..

راى الجدار ينشق فجاة . ويبرز من جوفه رجل طويل القامة . ممتلىء الجسم ، تبدو على وجهه المصفر علامات الاعياء والنصب .. وعيناه محتقنتان وشفتاه ترتعدان .

كان يبدو كجبار زعزعت كيانه ازمة نفسية !

وكان هذا الرجل السير مالكولم آرليس . وما كان يرى منظر الغرفة ، حتى انتفض . وتألقت عيناه ببريق حاد

وما كادت فيرا ترى اباها .. حتى افلتت شفتاها صيحة دهشة .. ونظر اليها السير مالكولم نظرة صارمة . ثم تقدم من ونيكل ، والتقط مسدسه .. وصوبه الى لوبين وقال بهدوء :

– كان من الحماقة ان تتدخل فى هذه المأساة يا ديل انك تضطرنى الى .

ولكنه لم يتم عبارته . وتحولت انظار الجميع نحو الباب الذى فتح فى تلك اللحظة ، ودخل منه المفتش سمرز .

وند السير آرليس آهة تدل على فرط يأسه وادار المفتش بصره على مارتن ديل . وقال .

بصره على مارتن ديل . وقال :

– انك شاب مدهش يا ديل – انى اجدك حيث لا اتوقع مطلقا ان اراك .. لم يكن يخطر ببالى انك هنا . وبهذه

المناسبة ، اظن انك لا تعلم ان حادث سرقة وقع فى منزلك الليلــة !

وتألقت عينا المفتش ببريق ذى مغزى . ثم استطرد : سوف احدثك بكل شىء فيما بعد .. واما الآن فيسرنى ان اجد هذين الشخصين هنا ، فقد طال بحثى عنهما ..

واشار الى تدينون وونيكل . وكان وجه اولهما محتقنا من الغضب الجالح المكبوت . واما ونيكل فكان لا يزال فاقد الوعى .

وحملق آرليس فى وجه سمرز .. وزاد وجهه اصفرارا ولاحظ ديل التحول العظيم الذى طرأ على المليونير .. وبدات الريبة تساوره فى امره .

وفجاة .. هتف : اظن ان السير مالكولم يرزح تحت عبء ثقيل من تقريع الضمير . لقد كان يحاول جاهدا ان يمحو بقع دم معينة فى احدى غرف الطابق العلوى .. يمكنك ان تساله ايها المفتش لماذا قتل تريز فيناول !! .

فشهق سمرز .. وحدق فى وجه ديل غير مصدق . ثم التفت الى السير آرليس ، ورمقه بنظــرة شزراء .. فارتسمت على وجه الرجل علامات الذعر القاتل . وتراجع الى الوراء مترنحا ، واخذ يقبض على الهواء بيديه . وما لبث ان انة مؤلمة .. وتهالك فوق الأرض فاقد الوعى .

- ١٠ -

وعند ظهر اليوم التالى التقى مارتن ديل بالمفتش سمرز حول مائدة الطعام بناء على موعد سابق .. وراحا يتناولان طعامهما صامتين .. واخيرا افتتح المفتش الحديث بقوله : هذه دنيا العجائب يا ديل .. فسبلها غير مستقيمة ، واحوالها غير مستقرة .. لقد بدات ليلتى امس بالبحث

عن ارسين لوبين ، ولكنى فى نهايتها عثرت على قاتل تريز فينابل . الحق انى مدين لك بهذه النهاية المدهشة ..

فقال ديل بتواضع : كلا .. كلا . لقد كنت اقذف سهما طائشا عندما وجهت الاتهام للسير آرليس . ولم تكن دهشتى اقل من دهشتك عندما رايت الأثر الذى احدثه هذا السهم .. كم انا متلهف على سماع اعتراف الرجل !

وكانا قد فرغا من تناول طعامهما . فاشعل سمرز لفافة تبغ فاخرة قدمها له صديقه .. ثم قال : توجد ابدا فى حياة الرجل ذوى القلوب الصخرية لحظات ضعف .. والسير مالكولم آرليس مثل حى لهؤلاء الرجال انه رجل غليظ القلب . جامد العاطفة .. ولكنه سقط صريع حب تريز فينابل . وكان ذلك بالطبع قبل ان يتزوج .. ولذا فلم تقترن سمعته باية فضيحة . ولم يكن يفطن الى ان تريز امراة وقفت حياتها على تحطيم قلوب الرجال .. وجرى فى حبها شوطا بعيدا .. وكتب لها رسائل عدة معربا عن غرامه المتأجج . وتورط فيها الى حد بعيد ..

الى ان كان يوم افاق فيه من طيشه .. ولكن بعد فوات الفرصة . فلم ترفض الأفعى الزواج منه فحسب .. بل اخبرته كذلك ان رسائل غرامه لاريب ستنال من المجتمع كل اهتمامه اذا ما نشرت فى الصحف .

صفوة القول .. بدات تريز تبتز مال آرليس بانتظام . واستمر الحال كذلك عدة اعوام بعد زواج المليونير . . ولما كانت المراة اخصائية فى مثل هذه الاعمال . فقد استطاعت ان تجرده من الشطر الاكبر من ثروته . فوهبها المنزل الذى كانت تقيم فيه . ولو انه بقى محتفظا بملكيته رسميا ..

ولكنها كانت تدخر للرجال جميعا حقدا متاصلا . ينمو على مر الزمان .. فادرى انها تسعى لخرابه والقضاء عليه .. وخطر له ان الموقف قد يتطور لمصلحته ان هو استطاع الحصول على رسائله الغرامية التى بعث بها اليها ابان شبابه ..

ولما كان المنزل قد شيد تحت اشرافه ، فانه كان يعلم موقع الخزانة بالضبط .. وخطر له ان المراة قد تكون محتفظة بالرسائل فى هذه الخزانة .. ومن ثم عول على الاستعانة بمفتاح المنزل الذى فى حوزته والذى لم يستعمله قط منذ ان شغلت المراة الدار .. ولكنه انتظر مترقبا اول فرصة ملائمة ليتسلل الى المنزل ، ويفتح الخزانة باية وسيلة ، ويستولى على رسائله

وقد حانت له الفرصة فى اليوم التالى لعودة تريز من سياحتها الطويلة خارج المملكة .. اذ اقامت الفتاة مادبة عشاء فاخرة .. ودعت اليها آرليس .. ولعلها كانت تقصد النكاية به .. ولكن آرليس استطاع ان يكمن فى المنزل بعد انصراف المدعوين .. ولم يكن ذلك بالعمل العسير .. فان احدا غيره لم يكن يعرف بالفجوة الكبيرة التى تتصل بغرفة الجلوس فى الطابق الارضى بوساطة لوح متحرك من الخشب يفصل بين الغرفتين ..

كان آرليس قد انشا هذه الفجوة السرية خصيصا يوم شيد المنزل ، لاعتقاده انها قد تصلح لاخفاء جواهره اذا دعت الضرورة .. وقد اخبرنى انه كان قد راى مثل هذه الفجوة السرية فى منزل احد اصدقائه ، فاحدث فجوته على غرارها عندما شيد منزله ..

وقد ظل آرليس ملازما هذه الفجوة حتى سيطر السكون

على المنزل .. فتسلل من مخبئه .. ومضى الى مخدع الفتاة .. وكان الحظ حليفه ، اذ كانت تريز تضع جواهرها فى الخزانة فى تلك الاونة

وتمهل سمرز هنيهة ريثما يلتقط انفاسه .. ثم استطرد : اكبر الظن ان آرليس لم يرتكب الجريمة مع سبق الاصرار .. بيد ان مراى الخزانة المفتوحة افقده وعيه . ونشب بينه وبين المراة عراك عنيف .. وقبل ان يدرك آرليس ما هو فاعل ، كانت تريز فينابل ميتة عند قدميه .. او هذا ما خطر بباله ..

وراى فى يده مدية ملوثة بالدماء لم كان قد اختطفها من فوق منضدة زينة المراة .. ولكنه كان حاضر الذهن .. فلم ينس ان يستولى على رسالته قبل ان ينصرف خلسة

فساله ديل : وما شان الدبوس الأخضر فى الجريمة ؟

– هنا ياتى دور هذا الدبوس .. وهو دور عجيب كما سترى .. يبدو أن آرليس لم يكن الضحية الوحيدة التى كانت المراة تبتز مالها .. فقد كان اخو ويستكوت ترين ، وهو شاب مهذب ، ولكنه احمق . ضحية اخرى للمــراة ..

وقد انتهز ويستكوت فرصة مادبة العشاء مثل آرليس .. وعاد الى المنزل بعد انصراف المدعوين . واستطاع ان يدخل من خلال احدى النوافذ الخلفية بعد ساعة من انصرف آرليس .

قلت لك ان آرليس كان يعتقد ان تريز قد لفظت انفاسها الأخيرة .. ولكنه كان مخطئا فى ظنه . ذلك ان المراة كانت تنزف دماءها ببطء . ولا ريب انها استعادت حواسها فى الفترة التى انقضت بين انصرافه ومجىء ويستكوت .

ووجدها الشاب تئن . وتتلوى من شدة الالم . وما كاد يميل فوقها ويلمس وجهها حتى احس بشىء يوضع حول معصمه .

فصاح ديل : الدبوس الاخضر

فاومأ سمرز براسه . وقال : كانت المراة قد استردت وعيها فى تلك اللحظة وكانت افكارها مشوشة بالطبع .. فلم تكد ترى ويستكوت مائلا فوقها حتى تبادر الى ذهنها انه قاتلها ، ولما كان علماء النفس يقولون ان المرء يكون سريع التفكير والبت فى الامور عند الوفاة ، فاكبر الظن ان المراة ارادت ان تثق قبل موتها بان قاتلها سيلاقى جزاءه حتما . ومن ثم انتزعت الدبوس من صدرها . وضغطت التوءين السريين ، ثم احاطت به معصم ويستكوت . ولا ريب انها كانت تعلم انه ان يستطيع خلعه بسهولة لجهله بموضع التوءين الدقيقين . او كانت ترجو ان يقبض على الشاب قبل ان يستطيع التخلص من الســوار .

وتمهل سمرز ريثما يرشف قليلا من قدح القهوة . ثم استطرد :

– وقد صعق ويستكوت من هول المفاجاة . راى نفسه فى منزل غريب اقتحمه ، وعند قدميه امراة تسلم الروح . ولم يفق من ذهوله الا عندما سمع المراة تقول بصوت شديد الخفوت انها تعلم قاتلها . وتأمل ان يشنق جزاء له على جريمتـه .

وقد اخبرنى ويستكوت انه ضحك ضحكة مروعة عندما اتهمته المراة بقتلها . ويمكنك ان تتصور حالة الذعر البالغ الذى استولى عليـه وقتئذ . فركض كالمجانين .

دون ان يتوقف ليفكر فى موقفه الدقيق . وحاول ان يتخلص من السوار . ولكن جهوده ذهبت ادراج الرياح . وكان كلمـا تذكر وعيد المراة زاد ذعره . وايقن انه طالما كان السوار مثبتا حول معصمه . فسينتهى به الامر الى المشنقة كما انذرته

وكان منزل السير مالكولم ارليس على مقـربة . وراى وستكوت ضوء ينبعث من احـدى نوافذه . ومن ثم دق جرس الباب . ففتح له السير آرليس بنفسه . ولا ريب ان آرليس كان يتوقع مجيء البوليس . فلمـا وقـع بصره على وستكوت انقشع عنـه الخوف ..

وكان وستكوت يعتقد ان السـير ارليس صديقه . فحدثه بالقصة كلهـا . وتوسـل اليه ان يسـاعده فى التخلص من الحلية

وبينما كان آرلـيس يصغى الى قصة الشاب ، طافت براسه فكرة شيطانية واستطاع ان يقنع الشاب بان يكتب اعترافا مفصلا بانه اقتحم منزل ترير فينابل ليستولى على رسائل معينة . ولم يغب عن ارليـس ان يحدد فى وثيقة الاعتراف وقت دخول الشاب الى المنزل بالدقة . ولمـا كان وستكوت فى حالة سيئة من الاضطراب . فقد وقـع الوثيقـة دون وعى . ولكن ارليـس استوقفه . واستدعى كبير خدمه ليكون شاهدا على التوقيع . ولكنه لم يسمح بالطبع لكبير الخـدم بمطالعة الوثيقـة .

وبعد انصراف الخادم من الغـرفة . احضر السـير ارليس مبردا ، واسـتطاع ان ينتزع الحليـة من معصـم الشـــاب ..

وكان وستكوت يعتقـد فى تلك اللحـظة ان السـير ارليس اولاه معروفا لا يقـــدر

وضحك سمرز ضحكة جافة . واردف :

ـ وبذلك استطاع ارليس ان يبقى الشاب تحت رحمته . فاذا تعرضت سلامته للخطر فى اية لحظة دفع بوستكوت الى البوليس . وكشف له عن زيارة الشاب السرية لمنزل القتيلة ليلة الجريمة .. وقدم له الدبوس الاخضر ووثيقة الاعتراف كادلة مادية لا تقبل النقض على صحة روايته .

ولم يكن احد الدليلين كافيـا لاثبات التهمة على الشاب وارساله الى المشنقة فلو ضاع احدهمـا بطريق الصدفة لعد الاخـر باطلا . ومن ثم عول ارليس على الاحتفـاظ بالدليلين معـا .. فانتزع القضيبين الذهبيين من مكانهما .. ووسع التجويف الذى يختفيان فيـه عندما تستعمل الحليـة كدبوس . ثم طوى وثيقة الاعتراف بعناية . واودع الدبوس جوف خـزانته

فسال ديل : الم تكن فيرا وستكوت تعلم بامر هـذا الاعتراف ؟

ـ كلا .. كلا كل ما كانت تعلمه . انه اذا استعان اى شخص بالدبوس ففى استطاعته ان يرسل وستكوت الى المشنقة . انها فتـاة متوقدة الذكاء يا ديل . ووستكوت شاب مجدود حسن الطالع . نعـود الى قصتنا . استطاع آرليس ان يرغم وستكوت تحت تهديده بافشاء سره . على انجاز عمل دنىء كان يسعى اليـه فى باريس . وتظاهر وستكوت بانه يطيع الأوامر . ولكنه كان لا يفتا طـول الوقت يدبر خطة يتخلص بها من مخالب ارليس .. وعندئذ عدة ايام ذهب الشاب لزيارته . وانباه انه فرغ من المهمة التى عهد اليـه بها فاضطرب ارليس . واسقط فى يده .

اذ بدا ضميره يقرعه في تلك الاثنـاء .. وهذا هو سبب تردده على المنزل الذى وقعت فيـه الجريمـة فى الأيام الاخيرة ومحاولته ازالة بقع الدم من ارض الغرفة التى قتلت فيهـا تريز

وغاص سمرز فى مقعده . واطال النظر الى وجه ديل ثم قـال :

ـ هناك مسألة واحدة تحيرنى . ولكن يغلب على ظنى ان حلها بيدك فنفث ديل الدخان عن فمـه .. وتابع سحبه ببصره .. ثم سأل :

ـ وما هى تلك المسألة ؟

فارتسـمت على شـفتى المفتش ابتسامة باهتة .. واجاب :

ـ اعترف لك اننى كنت مرتابا قليلا فى امرك . فبعد ان التقينـا في الطريق امس ، عندما كنت تحـاول التخلص من ذلك الرجل الذى يضايقك منظره .. بدات افكر في امرك جديا .. وكنت اعتقـد اعتقادا جازما انك تعرف شـيئا عن الدبوس الأخضر .. فذهبت الى منزلك فى المساء ، ولكن خادمك انبانى انك لم تعد بعد ، فجلست فى انتظارك .. ولكن سرعان ما سمعت وقع اقدام متلصصة تسير فى الردهة فخرجت اسطلع جليـة الأمـر . وعثرت على ارسين لوبين فى غرفة مكتبك .. ولكن تصادف لسوء الحظ ان استطاع اللعين ان ينتزع مسدسى منى ، ويبادر بالفـرار .

فغمغم ديل ، وهو لا يبدى شيئا من الاهتمام : ياللحظ العـاثر !

ــ ليس هذا ما يحيرني .. ولكن بعد عدة ساعات ، عندما ذهبت الى منزل بارك لين ، رأيتك تسدد مسدسك الى دربنون .. وانا على استعداد لأن اقسم أن هذا المسدس كان مسدسي الذى انتزعه منى ارسين لوبين عند فراره .

فتألقت عينا ديل ببريق خاطف . وصاح : يا للسماء ! لا اظنك تعنى .. !

فقاطعه سمرز ، وهو يلوح بيده فى الهواء :

ــ اوه ! كلا .. انى فقط اتساءل واتعجب . هل لك فى لفافة تبغ ؟

فمد ديل يده ، وتناول لفافة اشعلها .. واستطرد المفتش :

ــ لقد كانت مأساة محبوكة الاطراف .. ومن حقك ان تعاوِل البطلة .

ــ فهز ديل راسه سلبا .. وقال : ان مثل هذا الحظ ليس من نصيبى .. لكن دعنى اريك الرسالة التى تلقيتها منذ ساعتين .. انها شيء ارسلته الى الآنسة ارليس على سبيل التذكار .

واخرج ديل طردا صغيرا من جيبه .. وازاح الغطاء عنه ثم ابتسم .. واخرج من داخل الطرد الدبوس الاخضر .

((تمت))